ISSN 2347-2456
٧١
المجلد
شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد السادس – المجلد الحادي والسبعون
ذو القعدة – ذو الحجة ١٤٤٦هـ – مايو – يونيو ٢٠٢٥م

- مناسك الحج : أسرار و منافع (افتتاحية العدد)
- من وحي الزمان والمكان
- طاعة النبي صلى الله عليه وسلم
- قانون الأوقاف الإسلامية في الهند : مضاره وسلبياته
- الطب النبوي : بين العلم والدين : دراسة تحليلية معاصرة
- من علماء الإسلام الموسوعيين أحمد بن قاسم البوني
- رسل الله في خاتم كتبه السماوية
- فريضة الزكاة : مقاصدها وتطبيقاتها المعاصرة
- جدلية العقل والنقل الأحاديث النبوية نموذجاً
- القصيدة العينية لمتمم بن نويرة في رثاء أخيه : دراسة فنية
- من العداوة إلى الصداقة

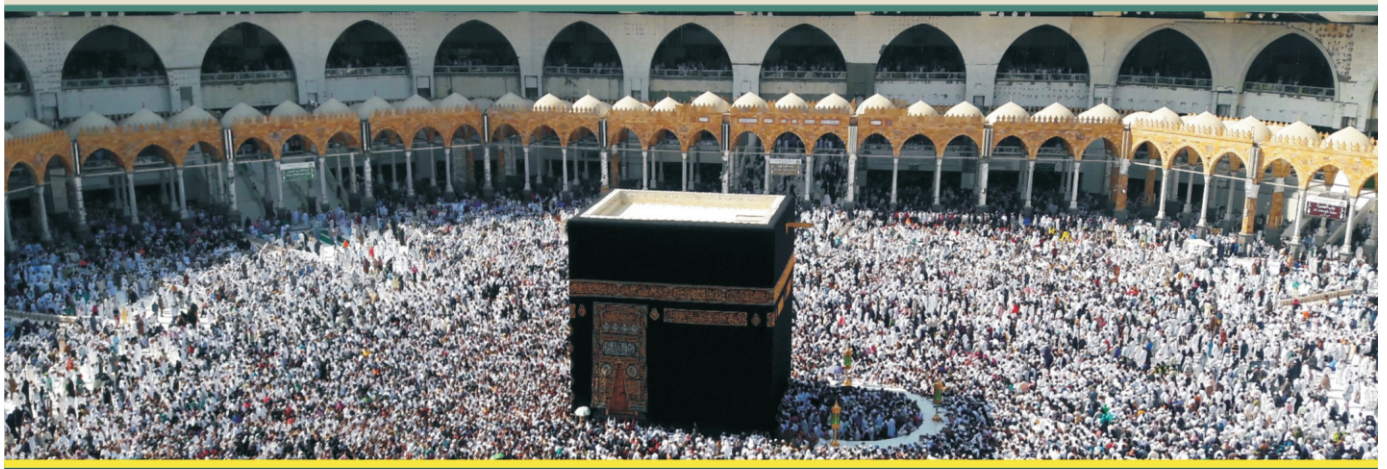

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص-ب-٩٣، لكناؤ- الهند
If undelivered please return to:
Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عمليًا ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غبارًا لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادةً للإنسانية ، مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوّق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تُراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيرًا ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيرًا ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع. هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقودًا في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقًا الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغارًا متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

- في الهند

أربع مائة (بالبريد العادي)	٤٠٠ / روبية
ثماني مائة (بالبريد المسجل)	٨٠٠ / روبية
ثمن النسخة	٤٠ / روبية

- في العالم العربي ، وفي جميع دول العالم:

٧٥ /دولارًا بالبريد الجوي ، أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

- المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم "البعث الإسلامي"

AL-BAAS, A/C NO. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر) ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT , NADWATUL ULAMA
P.O. BOX. 93, LUCKNOW - 226007 - U.P. (INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٧١

مؤسسة الصحافة والنشر

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

مايو – يونيو ٢٠٢٥م

May, June 2025

العدد السادس – المجلد الحادي والسبعون – ذو القعدة – ذو الحجة ١٤٤٦هـ – مايو – يونيو ٢٠٢٥م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع،وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

المشرف العام

الأستاذ السيد

بلال عبد الحى الحسني الندوي

رئيس التحرير

سعيدالأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

محتويات العدد

العدد السادس ــ المجلد الحادي والسبعون ــ ذو القعدة ــ ذو الحجة ١٤٤٦هـ ــ مايو ــ يونيو ٢٠٢٥م

❖ **الافتتاحية :**

مناسك الحج : أسرار ومنافع — سعيد الأعظمي الندوي — ٥

❖ **التوجيه الإسلامي :**

من وحي الزمان والمكان — فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ السيد محمد الحسني — ٩

رسل الله في خاتم كتبه السماوية — الدكتور غريب جمعة — ١٤

❖ **الدعوة الإسلامية :**

طاعة النبي صلى الله عليه وسلم — الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي — ١٧

ليشهدوا منافع لهم — الشيخ الطاهر بدوي — ٢٠

❖ **الفقه الإسلامي :**

فريضة الزكاة : مقاصدها وتطبيقاتها المعاصرة — الأستاذ السيد أزهر حسين الندوي — ٢٥

❖ **دراسات وأبحاث :**

قانون الأوقاف الإسلامية في الهند : مضاره وسلبياته — فضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحماني — ٣٠

جدلية العقل والنقل الأحاديث النبوية نموذجاً — الدكتور خورشيد أشرف إقبال الندوي — ٣٧

الطب النبوي : بين العلم والدين : دراسة تحليلية معاصرة — الأستاذ محمد رضي الإسلام الندوي — ٤٦

القصيدة العينية لمتمم بن نويرة في رثاء أخيه : دراسة فنية — د . طلحة فرحان الندوي — ٥٤

رحلة " الفوز العظيم " للشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني : دراسة تحليلية — د . ثمامة فيصل — ٦٥

❖ **رجال من التاريخ :**

من علماء الإسلام الموسوعيين أحمد بن قاسم البوني — الأستاذ الدكتور مرزوق العمري — ٧٤

❖ **بأقلام الشباب :**

الاستشراق : نشأته وأهدافه — الأستاذ هارون الرشيد الشيريفوري — ٨٣

القصة القصيرة في الكويت في القرن العشرين — الأخ عامر ضياء الندوي — ٨٧

❖ **صور وأوضاع :**

من العداوة إلى الصداقة — محمد فرمان الندوي — ٩٢

❖ **في رياض الشعر والأدب :**

هذا الطفل (تحية لأطفال غزة الأبطال) — الشاعر محمد الشرقاوي — ٩٦

❖ **أخبار علمية وثقافية :**

مساهمة الهنود في الأدب العربي في القرن العشرين — د . أبو تراب الندوي — ٩٨

❖ **إلى رحمة الله تعالى :**

١. البروفيسور خورشيد أحمد إلى رحمة الله تعالى — قلم التحرير — ١٠٠

٢. الطبيب نعيم الله إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠٠

٣. الأستاذ ساجد حسين خان في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠١

٤. والدة زوجة الأستاذ الدكتور سعيد الرحمن الفيضي الندوي في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠٢

مناسك الحج : أسرار ومنافع

الإنسان مفطور على الحب والهيام ، ومجبول على العشق والوئام ، فقد أودع الله في طبيعته مواهب وقدرات ، واتجاهات ونزعات ، تدعوه إلى الأنس والألفة والمحبة والشفقة ، وقد اشتقت كلمة الإنسان من الأنس ، نظراً إلى هذا المعنى الأثير المتغلغل في أحشاء القلوب ، فهذا العنصر لا يخلو منه نوع بشري ، ولا يتجرد عنه إنسان يعيش على وجه الأرض ، فالمخلوقات الجامدة التي تتمثل أمامنا ، والتي تتوارى عنا تفقد هذه الصلاحية الصانعة للعجائب ، فقد أبت إباءً كلياً حينما عرض الله تعالى عليها الأمانة والتكليف الشرعي الذي حمله الإنسان ، لأنه كان يحمل عقلاً وقلباً ، وإيماناً وعاطفةً ، وطاعةً وخشوعاً ، وحباً وحناناً ، وأما المؤمنون الصادقون فإنهم يملكون رصيداً كبيراً من هذا الحب نحو الله تعالى وعباده وجميع مخلوقاته ، وقد شهد بذلك القرآن الكريم في سورة البقرة : (وَٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ) [البقرة : ١٦٥] .

فالدعائم الأربعة للإسلام التي يؤديها المرء المسلم إيماناً بأنها فرائض محكمة من الله تعالى ، وإذا تخلى عنها الإنسان أو نبذها وراءه ظهرياً خرج من ربقة الإسلام ، وصار ممقوتاً وبغيضاً عند الله عز وجل ، شُرعت لإرواء هذه الغلة الإنسانية ، وإطفاء هذا العطش المادي الذي يشعر به الإنسان في حياته ، فالصلوات الخمس رمز وشعار لتقديم ضريبة الحب والفداء لله عز وجل ، ومناجاة وابتهال إلى الله في السراء والضراء ، والمنشط والمكره ، فالصلاة عند المسلم الحقيقي معقل وملجأ ، كلما حزبه أمر أو نزلت عليه بلية أسرع إلى الصلاة ، وناجى ربه مناجاةً خفيةً ، حتى يكشف الله عنه الغمة ، وكذلك شأن الصيام ، فإنه ما زال ولا يزال بلسماً للجروح ، ودواءً للنفوس ، وغذاءً ربانياً للروح ، وترياقاً

لأمراض القلوب يذكّر الصائم دائماً بمعية الله تعالى ونصره وتأييده ، وحراسته كل حين وآن ، فإن الصائم يجوع ويعطش ، ويبتعد عن الوقاع منذ طلوع الصبح إلى غروب الشمس إيماناً واحتساباً ، ولا يرجو من أحد جزاءً ولا شكوراً ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، فيتقبل الله تعالى منه صيامه ، ويمنحه جزاءً من عنده قائلاً : إلا الصوم ، فإنه لي ، وأنا أجزي به ، وأما الزكاة فإن إخراجها مثال للتضحية المالية ، لأن إنفاق الأموال في سبيل الله عز وجل دليل على حب الله تعالى ، وتقديم كل غال ورخيص في سبيله ، فمن كان بخيلاً بماله كان أبخل بنفسه وروحه في سبيل الله تعالى ، فقد توعد الله في سورة التوبة الذين يؤثرون الثمانية على الثلاثة بعذاب من عنده ، قال تعالى : (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ وَٱللَّـهُ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ) [التوبة : ٢٤] .

فالحج بعباداته وأعماله وواجباته حب وهيام ، وعاطفة وإيمان ، وهو رحلة عاشق هيمان إلى جناب البارئ الرحمان ، يتجلى من كل مظهر من مظاهره الفداء والتضحية والاستماتة والتفاني في سبيل الله عز وجل ، فالحاج الشعث التفل حينما يخرج إلى بيت الله الحرام لابساً لباس الإحرام ، فإنه يتظاهر بهذا الحب من بشارته ورداءه ، وحينما يلبي تلبيةً ربانيةً فكأنه يعلن عن عجزه وضعفه أمام الله قائلاً : أنا المكدي ، وأنا السائل ، وأنا المستغيث المستجير ، ويرد رداً إيجابياً بعمله وتعامله وسلوكه على نداء سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي نادى قبل آلاف من السنين في واد غير ذرع ، لكن نداءه وصل إلى كل بقعة من بقاع العالم ، وقد صوَّر هذا المعنى تصويراً دقيقاً الإمام الندوي رحمه الله بعنوان : الحاج طوع إشارة ورهين أمر : " والحج بمناسكه وأركانه وأعماله كله تمرين وتمثيل للإطاعة المطلقة ، وامتثال للأمر المجرد ، وسعي وراء الأمر ، وتلبية

وإجابة للطلب ، فالحج يتقلب بين مكة ومنى ، وعرفات والمزدلفة ، ثم منى ومكة : يقيم ويرحل ويمكث وينتقل ، ويخيم ويقلع ، إنما هو طوع إشارة ورهين أمر ، ليست له إرادة ، وليس له اختيار ، ولا حرية . . . هكذا حياة إبراهيم ، وحياة الأنبياء ، وحياة العشاق المؤمنين والمحبين ، والمتيمين ، نزول وارتحال ، ومكث وانتقال ، وعقد وحلٌّ ، ونقض وإبرام ، ووصل وهجر ، ولا خضوع لعادة ، ولا إجابة لشهوة ، ولا اندفاع للهوى " (الأركان الأربعة : ٢٤٧) .

ونظرة واحدة على مناسك الحج وما يؤديه الحاج من أعمال وواجبات تعطينا صورةً صادقةً كاملةً لحياة المؤمن الصادق المخلص ، وما تحويه في جنبها من دوافع التفاني والاستماتة في سبيل الله ، فالمسلم الحاج من أول أمره منذ إحرامه في قتال مع النفس ، وفي مغامرة مستمرة لا تهدأ ولا تقف لحظةً واحدةً ، إلى أن ينتهي من أداء هذه الفريضة ، فما السعي والطواف ، والوقوف والإفاضة والرمي والنحر ولبس الإحرام والشعث والغبر ليس كل ذلك إلا رمزاً للامتثال والانقياد التام أمام إرادة الله ، وأن الإنسان خلق ضعيف لا يملك من أمره شيئاً ، وأن الجميع سواء أمام أمر الله ، سواء كان شريفاً أو وضيعاً ، ملكاً أم رعيةً ، غنياً أم فقيراً ، فكلهم في لباس واحد وزي واحد ، واقفون في صف واحد يؤدون عملاً واحداً ، ويقيمون في مكان واحد هائمين مبتهلين ، متضرعين إلى الله ، طالبين رحمته وغفرانه ، حريصين على قبول عملهم المتواضع .

ولكل شعيرة من الشعائر الإسلامية حِكم عظيمة ، ومصالح خاصة ، وقد حفلت العبادات الشرعية بالأسرار الدقيقة ، والمنافع البديعة ، ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والزكاة تطهر القلوب وتزكيها من النقائص والكُدرات ، وتُحررها من رق الشهوات والملذات ، والصيام يخفف الكثافة الحيوانية ، لكن فريضة الحج تمتلئ بالمشاهد والمنافع الجسيمة التي لا يمكن التعبير عنها في لفظة أو كلمة ، بل هي مجموع البركات والخيرات التي تتجلى من

كل عمل من أعمال حج بيت الله الحرام ، فإن السفر إلى بيت الله الحرام سواءً كان للحج أو العمرة يجشم مشقات كثيرة ، كذلك الوصول إلى الله يحتاج إلى الكدح والمجاهدة ، فالإنسان الذي يتحمل المحن الشداد ينال رضا الله تعالى ، وإن ارتداء الإحرام علامة للتواضع وكسر النفس كما أنه يذكّر الإنسان بلباس الكفن الذي يلبسه في نهاية رحلته من الدنيا ، وشرب ماء زمزم يحمل فوائد كثيرة ، منها ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم : ماء زمزم لما شُرب له ، والسعي بين الصفا والمروة يوجه الحاج إلى الاستمرارية في الحياة ، دون الركود والجمود ، والوقوف في عرفة ، والاشتغال بالتضرع والابتهال طول النهار وهو خارج حدود الحرم ، دليل على أن العاشق المسكين يلتزم بباب الأمير ، ويبكي بكاء الحزين ، ويرجو رحمة الله تعالى ، فكأن ساحة عرفة هي الباب الأول ، وساحة المزدلفة هي الباب الثاني لهذا الفقير للالتجاء إليه ، وجُعل تقديم الأضاحي في منى علامة لقبول الأعمال عند الله تعالى ، وكما كان رمي الجمرات في الأيام الثلاثة صراعاً عنيفاً مع الشيطان الذي هو عدو الإنسان ، وأما حكمة قصر الرأس وحلقه في الحج فهي أن الحاج يقصر أو يحلق شعر الرأس اليوم ، فإذا كانت الحاجة إلى حلق الأعناق والرؤوس في سبيل الله تعالى ، فإن الحاج لا يتردد ولا يتلكأ ولا يتخلف عنه ، ونظراً إلى هذه المصالح الشرعية قال النبي صلى الله عليه وسلم : تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر ، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة (جامع الترمذي : ٨١٠) .

وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب ، وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٤٦/١٠/٢١هـ

٢٠٢٥/٤/٢٠م

من وحي الزمان والمكان

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ السيد محمد الحسني رحمه الله

المكان : بيت الله الحرام ومسجد النبي عليه وعلى آله وأصحابه الصلاة والسلام !

والزمان : زمن التشريق ، والتهليل والتحميد والتكبير (وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [البقرة : ١٨٥] .

قد يصل هذا العدد إلى أيدي القراء ، وهم في أجواء الحج زماناً ومكاناً ، وفي أنوار الحج روحاً ومعنىً ، أو في أصداء الحج مشعراً ومقاماً ، فليكن حديث اليوم حديث المجالس والمحافل ، والنوادي والمجامع والمساجد والجوامع ، وليكن ذلك الشغل الحلو الجميل ، الشغل الشاغل للمسلمين أجمعين ، لأنه حديث الحبيب والقريب ، حديث الحب والوفاء ، والصدق والولاء ، حديث يشحن القلوب الفارغة ببطارية الإيمان ، ويشعل المجامر الخامدة الباردة بشعلة الحب والحنان ، ويذكي مشاعل النور للمتخبطين في ظلام المذاهب والشعارات ، والعصبيات والجاهليات ، بل القمامات والقذرات ، مهما حسنت أسماؤها وراقت ألقابها ، وطابت مظاهرها وأشكالها .

فهذي الليالي كلها أخوات

(وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) [البقرة : ٢٢١] .

ولئن رضي الجاحدون ، والمنكرون ، أو المفتخرون بلقمات لفظتها موائد الغرب ، فإن الله لا يرضى لعباده الكفر ، إنه لا يرضى بأن يرى حملة دينه ، والأمناء على رسالته يتطفلون على فتات الطعام ويقفون كالأيتام على مأدبة اللئام !

ويتكرر الحج كل عام ليجدِّد ما طرأ على المسلم من بلى ،

ويصلح ما أصابه من زيغ ، أو ما اعتراه من خلل ، أو ما لحقه من نقصان ، أو ما لصقه من عار ، أو ما جف من منابع الإيمان واليقين في معاقل الإسلام ، وأوطان المسلمين .

إنه يقف بنا كل عام أمام بيت الله العتيق ، وفي عتبات الحرم وفسحات المشاعر ، لنتذكر ما ينساه العبد المذنب ، القاصر ، العاثر ، المكدود ، في زحمة الحوادث والأشغال ، وخضم المحيط الهادر من أضواء الحياة وضوضائها ، وضجيج الحياة وعويلها ، ولمعان المادة وبريقها ، لتنكشف الغشاوة عن بصره ، ولتتبين معالمه ومقاصده ومراميه البعيدة في ذلك الجو المكفهر ، الملبد بالغيوم ، فيعرفها حق المعرفة ، ويفهمها كل الفهم ، ويثق بها كل الثقة ، ثم يعود منها – وقد قضى مناسكه وأوفى نذوره – بإيمان جديد قوي غالب ، لا يعرف الهزيمة والانكسار ، ويواجه الحقائق المرة والتحديات السافرة ليقضي عليها ويرد كيدها إلى نحرها ، لا ليحني لها هامتها صغراً أو استصغاراً لنفسه ، أو يأساً من روح الله ونصره (إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوح اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) [يوسف : ٨٧] .

فلا يخضع رأسه ولا يستصغر نفسه ، ولا يتواضع ، ولا يتضاءل ولا يتلاشى إلا أمام الله العلي العظيم الذى له ملك السماوات والأرض ، أما إذا وقف أمام إنسان مثله (مهما بلغ هذا الإنسان ذروة القوة والجاه والسلطان) لم ير عليه فضلاً وكرامةً إلا بالتقوى .

إن الحج لا يحارب تلك الرذائل التي تلاصقت بالنفس البشرية رذيلةً رذيلة ، ولا يجهد نفسه في القضاء على علاتها منفصلةً ، بل يقضي عليها – إذا صحت نية المؤمن وسلمت طويته – جملةً واحدةً ، إنه يكتسح سائر الأحراش والنباتات السامة في النفس البشرية كسيل جارف قوي لا يمنعه شيئ ، ثم يجعلها صالحةً للغرس ، والري ، والنمو ، والازدهار .

إن الإنسان الذي يخمد ، ويتوانى ، ويتقاعس عن العمل لأجل بيئته الفاسدة وشرورها ، أو ينحرف عن طريقه السوي بشعارات ضالة تأخذ بلبه ، أو يتبع هواه لترفه وتنعمه يجد في هذا المكان ما يجدد نشاطه ويقوي همته ، ويصحح مسيرته ، ويقضي على طغيانه وغفلته ، فيذكر

أن عباد الله ليسوا بالمتنعمين ، بل إنهم من المجاهدين الصابرين ، الصامدين ، والحج بما فيه من وقوف وقيام ، وغرام وهيام ، وتنقلات متتابعة ، ورحلات مضنية وتمثيل لنوادر التضحية والبطولة والفداء ، واستجابة لهاتف الغيب ، وتلبية لرب البيت ، وخضوع للأمر ، لا يدع له فرصةً للراحة والاستجمام ، والقيام في غير مقام ، شأن المحب المتيم الذي كابد الهجر والفراق ، وبرح به الشوق ، وكاد الحب يأخذ بلبه ويتركه يهيم على وجهه ، دواؤه أن يلمح حبيبه ولو من بعيد ، ويسمع حديثه ولو من وراء حجاب ، ويسمح له بالاطراح على عتبته والابتهال على بابه ، والنياحة على نفسه والتلويح بلوعة قلبه وكبده ولو لساعات وأيام من جملة العام .

إن المسلم اليوم لم يفقد العلم ، ولم يفقد المال ، ولم يفقد القيادة ولم يفقد النظام – رغم أهمية كل من هذه النواحي – بمثل ما فقد القلب الولوع الحنون ، القلب المشرق العامر بالإيمان ، القلب النابض الحي ، القلب الذي يتحرق على خسارة الروح والضمير أكثر مما يتحرق على خسارة التصدير والتوريد .

هذا القلب لا يدع المسلم ينام قرير العين ، ناعم البال ، وهو بين ذل مشاع ، وشرف مستباح ، إنه لا يدع يمشي ضاحكاً مختالاً ، وقد صار موضع السخرية والنكتة والشماتة في محيط العالم كله ، فهو مهما نسي أو تناسى جهل أو تجاهل ، أصبح اليوم بلا وزن ، ولا صوت ، ولا ثقل على سياسة منطقته الخاصة فضلاً عن السياسة العالمية ، لا حول له ولا طول في مجرى الأحداث في بلده فضلاً عن بلاد غيره ، تخطط سياسته في البيت الأبيض أو الكرملين ، وتصمم معارفه وتربيته وثقافته في جامعات لندن وباريس كما تصمم الأزياء ، فهو يستورد الثقافات والأفكار والاتجاهات كما يستورد الأقمشة والصابون والعطور ، ويستعمل آدابها كما يستعمل آلاتها وأدواتها من غير أن يفهم الفرق الهائل بينهما ، حتى إن شرور الحضارة المعاصرة وحيرتها ، وضياعها ، وقلقها ، وإفلاسها وعارها لا يمنعه عن سيره الحثيث وركضه المجنون نحو ملذاتها

الخيالية ، ومنافعها الوهمية (كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحسَبُه الظَّمآنُ مَاءً) [النور : ٣٩] .

إن هذه المناسك التي يؤديها المؤمن مؤمن في الحج ، والوقفات التي يقفها في حرمه وفي مشاعره ليست أشكالاً وطقوساً مجردة من كل روح ، خالية عن كل معنى ، إنها بطبيعتها تبعث المؤمن بعثاً جديداً ، وتمنحه قسطاً جديداً من الحياة ، وتنقذه من أوزار المجتمع المادي الضيق المرسوم الذي عاش فيه زمناً طويلاً ، فألفه ولم يرض عنه بديلاً ، كالحشرات التي تألف الآجام والأحراش والأوحال والجداول والأنهار ، فلا تريد أن تخرج من عالمها الصغير المألوف ، فإذا بالحج يحطم سائر هذه الأغلال والأثقال ، ويهدم سائر الحدود والسدود والقيود ، وإذا هو يقف به – من غير درس طويل وتربية طويلة – في عالم جديد يختلف عن عالمه القديم الشاحب الكئيب كل الاختلاف كما يختلف عالم الجنين الصغير عن هذا العالم المادي الكبير .

إن البيت العتيق هو – في الواقع – محور المسلم الذي تدور حوله رحى الحياة (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا) [البقرة : ١٢٥] فلهم أن يسيحوا في الأرض ، ويبتغوا من فضل الله ، ولهم أن يشتغلوا بما طاب لهم من أشغال ووظائف وأعمال ، وخدمات ونشاطات ، وجهود في الحدود التي رسمها الإسلام ، ولكن عليهم أن يلجأوا أخيراً وفي نهاية الشوط إلى هذا البيت ، كالطفل الصغير الشريد الذي يرتمي إلى أحضان أمه وكنف أبيه أو كالعبد الآبق على عتبة سيده ضارعاً إلى رب البيت ، نائحاً على تمرده وعصيانه ، وجحوده وكفرانه ، وغفلته ونسيانه .

إن التحديات السافرة التي يواجهها المسلمون في هذه الأيام تتطلب أن يجدِّدوا صلتهم بالبيت ، لا على صورة تقاليد جامدة ، وأشكال فارغة ومظاهر جوفاء بل على صورة مصدر حياة ، ومنبع قوة ، ومعين لا ينضب من تجديد الصلة بالله والرجوع إليه في السراء والضراء ، والشدة والرخاء .

إن جميع النشاطات التي نزاولها ، والجهود التي نبذلها ، والمؤسسات التي نقيمها ، والبنايات التي نشيدها ، والجمعيات التي

نؤسسها ، والمخططات التي نصممها ، خطيرة وهامة ، ونافعة ومباركة ، لا ينكر فضلها ، ولا يستهان بقيمتها ما دامت متصلةً ببيت اللّه الحرام ، ما دامت ترى فيه بقاء حياتها ، وإيمانها ونجاتها ، وما دامت تقوم أساليبها ومناهجها على هديه ونوره وما دامت تعظم شعائر اللّه (وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) [الحج : ٣٢] .

أما إذا غرتنا مظاهر الحياة الخلابة التي تولدت من استعمال الآلة والأداة ، أما إذا بهر أبصارنا تقلب الذين كفروا في البلاد ، وبدأنا نطمع فيما آتاهم اللّه من زخارف ومباهج وملذات ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون .

أما إذا استصغرنا شأن البيت العتيق – لا سمح اللّه – وازدريناه ، وفضلنا عليه ما أحدثناه من طوابق وشقق وفنادق فاخرة ، مجهزة ، مزودة بأحدث التسهيلات ، ووسائل الترف والنعيم ، أما إذا احتقرنا رسالة الحج مقابل نظريات باطلة ، وأفكار سامة ، وآداب فاسقة ، وحياة ماجنة جاءت إلينا من الغرب ، أما إذا أصبحنا نحاكي موضاتهم وتقاليدهم وآدابهم ، وسخافاتهم ، ونتساقط عليها كما يتساقط الجائع والمحروم على المائدة ، فمعنى هذا أن صلتنا بهذا البيت العتيق قد ضعفت ، وأننا بحاجة قبل كل شيئ إلى أن نجددها ، ونغذيها ، ونحدب عليها ، ونحرسها من كل سوء ، ونتخذ لذلك ما يلزم من تدابير حكيمة ، وإجراءات حازمة ومعالجة دقيقة للقضايا ، ومراعاة لائقة بالطبائع والحاجات والأذواق والمعارف .

فذلك وحده هو الطريق الآمن والمضمون إلى المستقبل الزاهر السعيد الذي أصبح حلماً لدى الشباب المسلم منذ زمن بعيد ، فهل يتحقق هذا الحلم وهل تكون حجتنا هذا العام افتتاح عهد جديد ، ونواة انقلاب في التفكير والميول والرغبات والأشواق ؟ وهل نحن مستعدون لتصحيح مسيرتنا من الفوضى إلى الانسجام ، ومن التخبط في الظلام إلى نور الإيمان وعدل الإسلام ؟

رسل الله في خاتم كتبه السماوية

(الحلقة الثالثة)

بقلم : الدكتور غريب جمعة *

ثالث أولي العزم رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام :

بعد سيدنا إبراهيم عليه السلام بخمسة قرون ، ساد الظلم والظلمات والاستبداد في كل مكان ، وابتعد البشر عن هدى الله كل الابتعاد .

وتعالى الرؤساء إلى عرش الألوهية ، وأخذوا يستعبدون الشعوب ويفرضون عليهم عبادتهم ، وانتشر الإفك وأباطيل السحر في المعابد ، وحل محل هدى الله ، وأخذت الجماهير تستعين بالسحرة في شئون حياتهم ودخائل نفوسهم . وتفاقم الفحش والانحراف ، فاقتضت حكمة الله إرسال سيدنا موسى وهو ثالث أولي العزم من الرسل لحمل الأمانة العظمى ، أمانة الإصلاح وتبليغ دعوة الإيمان الصحيح والتذكير بالآخرة .

قال الله تعالى : (وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ، إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ، فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ، وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ، إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ، فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى) [طه : ١٠ – ١٦] .

وكان هذا الاختيار لكليم الله ، مؤيداً بالمعجزة الصارخة المشاهدة المحسوسة لفرعون وقومه ، وهي معجزة العصا ، ولكن فرعون رفض الإذعان لما جاء به موسى إليه من رب العالمين ؛ لأنه كان ناصباً نفسه أنه هو رب العالمين . ألم يقل : (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى) [النازعات : ٢٤] .

* جمهورية مصر العربية .

ومن أجل ذلك غضب فرعون ، وأنكر صحة إرسال موسى من أحد غير نفسه ، ونسب معجزة العصا إلى السحر وهو مُصر على زعم الألوهية لنفسه ، بل قد ازداد إصراراً حين ذكر له موسى صفات رب العالمين ، وأعرض عن سماعها واستصغره ونعته بالجنون ، حيال الشعب لكيلا يفطنوا إلى حقائق صفات الرب الأعلى ، ولكي يظلوا معتقدين أنه هو الرب الأعلى ، وفي الوقت نفسه هدد موسى بالسجن ، ليخيف الذين ارتابوا بألوهيته ، بعد أن سمعوا من موسى ما سمعوا ، وها بعض الحوار الذي جرى بين سيدنا موسى وفرعون ، عن حقائق صفات رب العالمين .

يقول تعالى : (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ . قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ . قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) [الشعراء : ٢٣ – ٢٩] .

ومهما يكن فقد أنكر فرعون معجزة العصا الصارخة ، وإن هاله أمرها لما شاهدها ، ولكن عناده جعله ينسبها إلى السحر ، شأن العاجزين في كل زمان ومكان . فلجأ إلى إثارة أهل الأرض ضد موسى ، فزعم أنه يريد أن يخرجهم من أرضهم ، وتظاهر بالتواضع وترك الأمر إليهم ، ليلزمهم بما يرونه في حق موسى عليه السلام من تآمر وجحود لما يدعوهم إليه ، والنتيجة واضحة ؛ لأن معجزة الله لا تُغلب ولا تنقض ولو اجتمعت الجن والإنس من أجل ذلك .

وأسقط في يد فرعون حين أبصر السحرة الذين كانوا يرجو بهم الانتصار على موسى يخرون سجداً لإله موسى . ولا عجب لأنهم لمسوا جلال معجزة العصا ، وأثار قدرة الله الماثلة فيها وآمنوا ولم يبالوا بما سيكون من فرعون بعد ذلك .

يقول تعالى : (قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ . يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ . قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ . فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ . وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ .

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ . فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لفرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ . قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ . فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ . فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ . قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ . قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ . إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ) [الشعراء : ٣٤ – ٥١] .

وفكر فرعون أن يبطش بموسى وقومه خشية أن يؤمن الناس برسالة موسى ، ولكن الله أمر موسى بالخروج من مصر ليلاً ، قبل أن يبطش بهم فرعون ، وحين علم فرعون بخروجهم ليلاً لحق بهم ، حتى أبصر بعضهم بعضاً ، وخاف قوم موسى وتحققوا الهلاك ، إذا أدركهم فرعون وجنوده ؛ لأن البحر اعترضهم فأين المفر ؟

ونسوا أنه رسول من أولي العزم ، وأن النصر والنجاة مكفولة له من الله عز وجل ، وتحقق كل ذلك ، فأمره أن يضرب بعصاه البحر فضرب وانفلق البحر ، واجتازه موسى وقومه ، ولحقه فرعون ، فهلك هو وجنوده .

يقول تعالى : (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ . قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ . فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ . وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ . وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) [الشعراء : ٦١ – ٦٧] .

وهكذا ألقت أقدار الله بفرعون وقومه في مزبلة التاريخ ليكون عبرةً لمن يأتي بعده من فراعنة إلى يوم الدين .

ولسوف يلقى هذا المصير الأسود فرعون العصر الحديث دونالد ترامب –إن شاء الله – (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) [إبراهيم : ٤٢] .

(وإلى حلقة قادمة إن شاء الله)

طاعة النبي صلى الله عليه وسلم

الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي
تعريب : الأخ نعمت الله قاسم الندوي *

وبمناسبة غزوة الخندق في المدينة المنورة هاجم الكفار والمشركون على المسلمين ، فاشتد البرد ، وتعسر الوقت على المسلمين ، وكانوا يعانون شدةً ومجاعةً وضيقاً إذ أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشتكي إليه جوعه ، فيكشف عن بطنه ، فهو مربوط بحجرين . وهناك صحابي يحفر الخندق ، وتحول صخرة دون حفره ، فيدخل على النبي صلى الله عليه وسلم ويخبر بذلك ، فيقوم النبي صلى الله عليه وسلم آنذاك ، فيضرب بها ضربةً فتحولت إلى تراب . ويصدر في ذلك الوقت الشديد من فمه كلمات تاريخية عظيمة : قد أعطيت قصور كسرى وقيصر .

وكان أصحابه رضي الله عنهم معهم ، وهم يرونه ليلاً ونهاراً ، فكان لهم قدوةً في الشدة والرخاء ، فلم تتزلزل أقدامهم في أصعب وقت ، بل ظلوا ثابتين على الحق ، متوكلين على ربهم تبارك وتعالى ، متمسكين بأسوة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، راجين لقاء الله تعالى متشوقين له ، مؤقنين بالآخرة ، مستعدين للتضحية والفداء في كل وقت من الأوقات ليسعدوا يوم القيامة بنعم الله التي لا تعد ولا تحصى ، فنزلت الآية الشريفة ! (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً) .

وكان أصحابه يؤمنون إيماناً قوياً بأن نجاحهم معقود باتخاذ أسوة نبيهم صلى الله عليه وسلم ومنوط باتباع سننه الشريفة .

فكما أسلفنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لهم قدوة في الشدة والرخاء ، وفي العسر واليسر ، وفي المنشط والمكره ،

* معهد الدراسات العلمية ، ندوة العلماء ، لكناؤ .

كذلك كان لهم قدوة في معاملة أصحابه وأعدائه والسلوك مع ذوي الأرحام والقرابات .

وكانت حياته في مكة مليئةً بالمشكلات والمحن الشداد ، يدعو الناس فيواجه منهم السب والشتم والسخرية والاستهزاء ، ويقوم بمهمة الدعوة في الطائف ، فيجرح ، ويأتمر به كفار مكة ليقتلوه ، لكنه كان رحمةً عامةً للعالمين ، وأسوةً شاملةً للبشرية جمعاء . فكانت قدوته بين أيدي صحابته يتأسون بأسوته ، ويتخذون منهجه ولا ينحرفون عنه للحظة من اللحظات ، ويصبرون على كل ما يلقونه من الشدة والأذى .

وفي معركة بدر التي كانت أول وأعظم معركة بين الحق والباطل حيث كان جيش من المشركين والكفار في عدة وعتاد بينما كان المسلمون في عدد ضئيل . وإنهم كانوا ثلاث مأة وثلاثة عشر بدون أي عدة وعتاد ، ينتظرون في ذلك الموقف الحاسم الشديد أمره صلى اللّه عليه وسلم ، ويترقبون إشارة عينيه وإيماءة حاجبيه .

وأكبر مثال لانقياد الصحابة لأوامره صلى اللّه عليه وسلم أنهم خرجوا من المدينة ليقروا أعينهم بزيارة الكعبة مشتاقين لها فيطوفون بها ويعتمرون .

لكن تلك القافلة المؤمنة وقفت عند الحديبية – وهو موضع قريب من مكة – بحكم النبي صلى اللّه عليه ، فصالح صلى اللّه عليه وسلم الكفار . وكان من شروط الصلح أن يعود المسلمون دون أن يدخلوا مكة ويعتمروا . فحل النبي صلى اللّه عليه وسلم من إحرامه وحلق رأسه ، فسرعان ما حلق الصحابة رضي اللّه عنهم رؤوسهم ، ولم يتأملوا للحظة بل استسلموا لأسوة النبي صلى اللّه عليه وسلم استسلاماً كاملاً .

وكانوا بانتظار إشارة من الرسول صلى اللّه عليه وسلم إذا أذن لهم النبي صلى اللّه عليه وسلم ناضلوا كفار مكة وكسروا شوكتهم وقهروهم بكل ما يملكون ، لكنهم خضعوا لما أراده الرسول صلى اللّه عليه وسلم واستمسكوا بحكمه الأكيد .

فبالجملة أنهم اعتصموا بأسوة الرسول الأعظم صلى اللّه عليه

وسلم ، وتبنوها بإيمان ويقين ، وجعلوا شخصيته قدوةً لهم لكل شعبة من شعب الحياة ، وذلك منهج حقيقي صادق وتفسير عملي لقوله تعالى : (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً) .

فإن سيرته صلى اللّه عليه وسلم بأكملها دعوة عملية واضحة تفرق الحق من الباطل ، وتميز الخير من الشر .

فمن رأى حياته ودرس سيرته تقدم في حياته وبلغ ذروة الرقي والكمال . وإن القرآن الكريم وسيرته الطيبة منبعان عظيمان للرشد والهداية .

وكانت حياته في الواقع مرآةً ناصعةً وصورةً حيةً حقيقيةً للقرآن الكريم .

وهناك عدد كبير من الناس يقرأون القرآن وهم يقطنون بأرجاء العالم المتعددة ، ويعيشون في البيئات التي يغمرها الكفر والجاهلية . وفي هذا العالم الحالك كذلك هناك عدد هائل من الناس يعكسون سيرة النبي صلى اللّه عليه وسلم ويجسدون قدوته ويمثلون أسوته الحسنة الخالدة تمثيلاً واقعياً حقيقياً . فمن أصبحت حياته تفسيراً لأسوته الحسنة وانعكاساً لمنهاجه نال قبولاً لدى اللّه عز وجل ، وظلت حياته رسالةً حيةً ودعوةً متحركةً متنقلةً للعالم البشري يهتدي بها التائهون ويستنير منها الضالون .

فاستمع أصحابه رضي اللّه عنهم أجمعين لنداء اللّه عز وجل : لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة . فوعوها في قلوبهم وشكلوا في ضوئها حياتهم ، وقدموا لمن بعدهم من الطبقات البشرية المتنوعة نموذجاً حياً خالداً .

فنداء القرآن هذا باق آت دائماً في كل زمان ومكان . فينبغي لمن كان يرجو اللّه ولقاءه ويتشوق للجنة ونعيمها ويذكر اللّه تعالى كثيراً ويراقبه صباح مساء أن يلبي هذا النداء ، ويحاول أن يصوغ حياته وفق السيرة النبوية التي هي نموذج مثالي كامل للإنسانية جمعاء ، ولم يأت بمثله أحد من الأولين والآخرين .

(وللحديث بقية)

ليشهدوا منافع لهم

الشيخ الطاهر بدوي*

والحج من العبادات التي تعود على الفرد والجماعة بالمنافع الكثيرة المادية منها والمعنوية ، متى التزم الناس في أداء هذه الفريضة المقدسة بما شرعه الله لهم . . . ومن هذه المنافع :

تلك المعاينة المثيرة لوجدان المؤمنين حين يواجهون بيت الله الحرام ، أو حين يطالعون قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين طالما توجهوا إلى الكعبة وتخيلوا مشهدها ، وتشوقوا إلى الطواف حولها ، كلما وقفوا بين يدي الله في صلاتهم ، هذه المعاينة تربط المؤمن ربطاً مباشراً ، بشعائر دينه ، وتصله بالخالق جل وعلا اتصال عين اليقين ، اليقين الذي يجعله يتسابق في الخيرات والطاعات ، وكيف لا ؟ وقد آن له أن يهتم بعد شواغل الدنيا ، بتقديم شيئ لمصيره الآجل .

يقضي المؤمن فترة طويلة لا هم له إلا الذكر والتلبية والتجرد لهما من كل شواغل الحياة الدنيا . وليس كالذكر والتلبية وسيلة إلى التقرب من حضرة ذي الجلال وهو ذكر يحدث في أطهر بقعة على ظهر الأرض ، وفي ظروف تجرد تام ، يرفع الدعاء إلى مستوى الإجابة ، قال تعالى في سورة البقرة : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) ، وفي سورة غافر قال جل ذكره : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ) .

ومن المأثور في هذا عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن داود النبي صلى الله عليه وسلم قال : إلهي ! ما لعبادك عليك إذا هم زاروك في بيتك ؟ قال : إن لكل زائر حقاً على المزور ، يا داود : لهم علي حق أن أعافيهم في الدنيا وأغفر لهم إذا لقيتهم " (رواه الطبراني في الأوسط) ، وفي حديث أخرجه الشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من

* كبير علماء الجزائر .

حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه " ، وفي رواية للترمذي : " غُفر له ما تقدم من ذنبه " ، وحديث أخرجه النسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الحجاج والعمار وفد الله ، إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم " . ومن طريق آخر قال عليه الصلاة والسلام : " يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج " .

فالحج يغفر الذنوب ويزيل الخطايا إلا حقوق الآدميين ، فإنها تتعلق بالذمة حتى يجمع الله أصحاب الحقوق ليأخذ كل حقه . ومن الجائز أن الله تعالى يتكرم فيرضي صاحب الحق بما أعد له من النعم وحسن الجزاء ، فيسامح المدين تفضلاً وتكرماً ، فلا بد من أداء حقوق الآدميين ، أما حقوق الله فمبنية على تسامح الكريم الغفور الرحيم . والحج يطهر النفس ويعيدها إلى الصفاء والإخلاص ، مما يؤدي إلى تجديد الحياة ، ورفع معنويات الإنسان وتقوية الأمل وحسن الظن بالله سبحانه .

وهو موسم عبادة تصفو فيه الأرواح وهي تستشعر قربها من الله في بيته الحرام وهي ترف حول هذا البيت وتستروح الذكريات التي تحوم عليه وترف كالأطياف من قريب ومن بعيد :

طيف إبراهيم الخليل عليه السلام وهو يودع البيت وفلذة كبده إسماعيل وأمه على الجميع الصلاة والسلام . ويتوجه بقلبه الخافق الواجف إلى ربه : (رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ من ذُرِّيَّتِى بوَاد غَيْرِ ذى زَرْعٍ عندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقيمُواْ ٱلصَّلاَةَ فَٱجْعَلْ أَفْئدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُمْ مِّنَ ٱلثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) [إبراهيم : ٣٧] .

وطيف هاجر وهي تستروح الماء لنفسها ولطفلها الرضيع في تلك الحرة المتلهبة حول البيت ، وهي تهرول بين الصفا والمروة ، وقد نهكها العطش ، وهدَّها الجهد وأضناها الإشفاق على الطفل ، ثم ترجع في الجولة السابعة ، وقد حطمها اليأس لتجد النبع يتدفق بين يدي الرضيع الوضئ . وإذا هي زمزم ، ينبوع الرحمة في صحراء اليأس والجدب .

وطيف إبراهيم عليه السلام وهو يرى الرؤيا ، فلا يتردد في التضحية بفلذة كبده ، ويمضي في الطاعة المؤمنة إلى ذلك الأفق البعيد : (قَالَ يٰبُنَىَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ) ، فتجيبه الطاعة

الراضية في إسماعيل عليه السلام : (يا أَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّابِرِينَ) ، وإذا رحمة الله تتجلى في الفداء : (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ . وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) [الصافات : ١٠٤ – ١٠٧] .

وطيف إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يرفعان القواعد من البيت في إنابة وخشوع : (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ) [البقرة : ١٢٧ – ١٢٨] .

وتظل هذه الأطياف وتلك الذكريات ترف وتتابع ، حتى يلوح طيف عبد المطلب وهو ينذر دم ابنه العاشر ، إن رزقه الله عشرة أبناء . وإذا هو عبد الله أبو المصطفى صلى الله عليه وسلم . وإذا عبد المطلب حريصاً على الوفاء بالنذر . . . ولولا عناية الله وفداؤه بذبح مائة ناقة بعد عشر لضحى عبد المطلب بابنه عبد الله . . . العناية التي تلت حماية الله لبيته العتيق من كيد أبرهة اللعين . . . وإذا قومه من حوله يعرضون عليه فكرة الفداء وإذا هو يدير القداح حول الكعبة ويضاعف الفداء ، والقدح يخرج في كل مرة على عبد الله حتى يبلغ الفداء مائة ناقة بعد عشر ، هي الدية المعروفة فيقبل منه الفداء ، فينحر مائة ناقة وينجو عبد الله . ينجو ليودع رحم آمنة أطهر نطفة وأكرم خلق الله على الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يموت . . فكأنما فداه الله من الذبح لهذا القصد الوحيد الكريم الكبير .

ثم تتواكب الأطياف والذكريات من سيدنا محمد رسول الله ابن الذبيحين عليه الصلاة والسلام وهو يدرج في طفولته وصباه فوق هذا الثرى ، حول هذا البيت وهو يرفع الحجر الأسود بيديه الكريمتين فيضعه موضعه ليطفئ الفتنة التي كادت تنشب بين القبائل ، وهو يصلي . . وهو يطوف . . وهو يخطب . . وهو يعتكف . . وهو يفتح النفوس والبقاع ، ويكسر الأصنام والأوثان ويعفو عمن أذاه ويؤلف بين القلوب . وإن خطواته عليه الصلاة والسلام لتنبض حيةً في الخاطر وتتمثل شاخصةً في الضمير يكاد الحاج هناك يلمحها ، وهو مستغرق في تلك الذكريات وخطوات الحشد

من صحابته الكرام رضي الله عنهم وأطيافهم ترف وترف فوق هذا الثرى حول ذلك البيت تكاد تسمعها الآذان وتكاد تراها الأبصار .

وبعد هذا يودعون البيت بالطواف ويقصدون الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة لزيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة مهداة للعالمين وقبري صاحبيه الجليلين سيدنا أبي بكر الصديق وسيدنا عمر رضوان الله عليهما وعلى جميع الصحابة الكرام . . فيسلم الحاج عليهم ويدعو بما استطاع !! وليجتهد في زيارة المقدسات الأخرى ولكن مع مراعاة الآداب المطلوبة ظاهراً وباطناً . . يرجع الحجاج إلى أوطانهم بعهد جديد ويقين جديد بطهارة في النفوس وسعادة في القلوب . . طوبى لهم ثم طوبى .

وقد حددت الآية القرآنية المحظورات في قوله تعالى في سورة البقرة : (فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ) [١٩٧] . وهذه المحظورات قد يستوجب فعلها فرض عقوبة على مرتكبها من صدقة أو إرهاق دم أو صيام أو غير ذلك يتم ضبطه بواسطة المؤمن نفسه لا بواسطة سلطة دينية أو دنيوية . وهكذا ينصب الإسلام من المؤمن رقيباً على نفسه يحاسبها ويضبط أهواءها ويقرر عقوبتها ، فالعبد في نفس الوقت متهم وقاض ومنفذ ، والله وحده هو المطلع عليه في ذلك كله ، ينظر تصرفاته ويسجل نزاهة عمله في موسم الذكر والتقرب ، وفي ذلك أعظم تربية لضميره ويتفق مع الآية السابقة قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أخرجه الشيخان : " من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه " .

فالإسلام يعتبر الحج وسيلةً لتحقيق الفوائد الروحية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية وتنطق بذلك هذه الآية : (وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ ٱلأَنْعَامِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ) [الحج : ٢٧ – ٢٨] . وقد فسر العلماء المنافع بأنها دينية ودنيوية معاً ، والدين والدنيا في نظر القرآن مترابطان ترابط الروح بالجسد . فإذا كان الدين يمد الروح بالإيمان الصحيح والآداب . فإن أمور الدنيا تمده بأسباب البقاء ودواعي الارتقاء .

فالحج موسم ومؤتمر . موسم تجارة وموسم عبادة . والحج مؤتمر اجتماع وتعارف وتعاون وتنسيق الخطط وتوحيد القوى وتبادل المنافع والسلع والمعارف والتجارب ، أصحاب السلع والتجارة يجدون في موسم الحج سوقاً رائجةً ، حيث تجبى إلى البلد الحرام ثمرات كل شيئ ، من أطراف الأرض ، ثم أن لكل شعب من الشعوب الإسلامية صناعات ونبوغاً ، وأن لبلادهم منتوجات لا توجد عند سواهم ، وبواسطة هذا المؤتمر العام يمكن إبرام اتفاقات على تبادلها فيما بينهم . يتجمع كله في البلد الحرام في موسم واحد . فهو موسم تجارة ومعرض نتاج وسوق عالمية تقام في كل عام . وهو الفريضة التي تلتقي فيها الدنيا والآخرة كما تلتقي فيها ذكريات العقيدة البعيدة والقريبة .

والحج مؤتمر عام لتوحيد غايات المسلمين وتوجيههم إلى مصادر الحياة الصحيحة بما يقتبسه بعض شعوبهم من ثقافات البعض الآخر . . . وتنظيم ذلك العالم الإسلامي الواحد الكامل المتكامل مرةً في كل عام في ظل الله بالقرب من بيت الله وفي ظلال الطاعات والذكريات في أنسب مكان وأنسب جو وأنسب زمان .

والحج بعد ذلك مؤتمر جامع للمسلمين قاطبة : مؤتمر يجدون فيه أصلهم العريق الضارب في أعماق الزمن منذ أبيهم إبراهيم الخليل (مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا) ويجدون محورهم الذي يشدهم جميعاً إليه وهذه القبلة التي يتوجهون إليها جميعاً .

وهناك يجد الحجاج رايتهم التي يفيئون إليها ، راية العقيدة الواحدة التي تتوارى في ظلها فوارق الأجناس والألوان والأوطان ويجدون قوتهم التي قد ينسونها حيناً ، قوة التجمع والتوحد والترابط الذي يضم الملايين ، الملايين التي لا يقف لها أحد لو فاءت إلى رايتها الواحدة التي لا تتعدد ، راية العقيدة والتوحيد .

غير أن أعظم ما يتحقق في مناسبة هذه الفريضة العظيمة من فرائض الإسلام هو اجتماع هذا الحشد الضخم من سائر أنحاء الأرض المسلمة ، وهي فائدة تعود ببركتها وخيرها على جماعة المسلمين إلى جانب ما تحقق لكل فرد منهم .

فريضة الزكاة : مقاصدها وتطبيقاتها المعاصرة

الأستاذ السيد أزهر حسين الندوي [1]

الزكاة هي ركن من أركان الإسلام الخمسة ؛ وهي ثالثة دعائم الإسلام بعد الشهادتين والصلاة ، وقد قرنت في الصلاة في عشرات المواضع بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، وتأتي بعد الصلاة في كتب الفقه عادة في قسم العبادات ، فالزكاة فريضة محكمة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة .

أما الكتاب : فقد تضافرت آياته القرآنية في إيجاب الزكاة والعناية بها عنايةً بالغةً ، ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى : (وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَاةَ وَآتُواْ ٱلزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [2] . (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [3] .

وأما السنة : فقد جاءت بتأكيد وجوب الزكاة ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما : " أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل رضى الله عنه إلى اليمن قال : إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم " [4] ، وحديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان " [5] .

وأما الإجماع : فأجمع المسلمون في جميع الأعصار على وجوب

[1] مسقط ، سلطنة عمان .
[2] البقرة : ١١٠ .
[3] التوبة : ١٠٣ .
[4] البخاري ، صحيح البخاري ، باب وجوب الزكاة ، رقم الحديث ١٣٩٥ .
[5] البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ،رقم الحديث ٨.

الزكاة إذا اكتملت الشروط ، واتفق الصحابة رضى الله تعالى عنهم على قتال مانعيها [1] ، وكما فعل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، حيث قال : " والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة " [2] .

مقاصد الزكاة الشرعية والاقتصادية:

الزكاة نظام فريد ومؤسسة مالية ، لها وظيفتها المهمة في حياة المجتمع من تحقيق التكافل الاجتماعي والتأمين ضد العجز والكوارث والفقر ، وإزالة الحسد والبغض ، وتطهير الأنفس ، وتنمية الخير عند الناس ، كما أنها تعين الدولة على تحقيق المصالح والمنافع العامة للمواطنين ، وهي مورد مالي من موارد الدولة التي تسهم في تغطية كثير من النفقات التي يحتاجها المجتمع [3] .

فمن مقاصد الزكاة حراسة الدين ودعمه ونشره وتمكينه في الأرض ، ففي الزكاة تجهيز الغزاة والمجاهدين والإنفاق عليهم ، ومن مقاصدها كذلك مواساة ذوي الحاجات وسد الخلات ، وتحقيق الأخوة الإيمانية وتكافل المجتمع ؛ فالشارع الحكيم أراد أن يكون المجتمع المسلم متكافلاً متآزراً متعاوناً يأمن فيه العاجز والضعيف والقاصر يشعرون أنهم يعيشون بين قلوب ووجوه ونفوس الأخوة ، فالزكاة لون من ألوان العبادات التي فرضها الله فهي من العبادات التي تكون ليست فقط علاقة بين العبد وربه ، إنما يمتد تأثيرها إلى المجتمع ، فهي واجب شرعي يحقق التكافل والتضامن والمواساة في المجتمع ، فهي المؤسسة الأولى للضمان الاجتماعي في الإسلام ، وقد قامت الزكاة بدور كبير في حل مشكلة الفقر والبطالة [4] .

التطبيقات المعاصرة لدور الزكاة في القضاء على أسباب الفقر :

الزكاة للتعليم :

العلم هو الركيزة الكبرى لنهوض الأمم واتخاذ مكانة لها بين الأمم والدول [5] ، وهذا ما يجعل الوقف على مدارس العلم وطلبتها والباحثين

---

[1] ينظر : ابن قدامة ، المغني ، ج ٤ ، ص ٥ .

[2] البخاري ، صحيح البخاري ، باب وجوب الزكاة ، رقم الحديث ٦٩٢٥ .

[3] محمد إبراهيم ، الزكاة ودورها في القضاء على الفقر ، بحث إلكتروني ، ص ٤٣.

[4] ينظر : الندوي ، أبو الحسن علي ، الأركان الأربعة ، ط ٣ ، (دار القلم ، الكويت ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ،ص ١١٥ ،وفاطمة محمد عبد الحافظ ،أثر كل من الزكاة والضريبة على التنمية الاقتصادية ، رسالة الماجستير من جامعة نابلس فلسطين ، ص ١٨ – ١٩ .

[5] راجع : الغزالي ، محمد ، خلق المسلم ، ط ١٣ ، (دمشق ، دار القلم ،

فيها من الألوية بمكان ، نظراً لما يحققه من مقاصد كثيرة منها الحفاظ على الأمة ، وتحريك حركة الإنتاج فيها وتقوية نسيجها الداخلي وإتاحة الفرص لكل أبنائها من الاستفادة من الفرص المتاحة في نيل العلم وفتح الباب أمام الباحثين والمبدعين ، ولكن كثيراً من الناس اليوم لا يعرفون أين يضعون أموالهم وصدقاتهم ، بل من غريب ما نراه اليوم أن يتكدس فرش المساجد ويتجدد مراراً – على أهميته وفضل فعله – أو تؤمن مبردات المياه في بعض المساجد أكثر من حاجة المصلين بكثير ، ثم تلتفت إلى حاجات التعليم ونشره وتطويره ، فلا تجد من يكفي لسدها وتوفيرها ، ويحتاج هذا الواقع المرير للنظر الشرعي الذي يقوم على توعية الناس بحاجات المجتمع التعليمية والتثقيفية من خلال أموالهم وصدقاتهم الجارية لكي يكون لهم أجرها ممتداً ، ونفعها قائماً مستمراً ما استفاد منها العلم وطلبته وأهله ، ويقول أحد الباحثين : " تعد الزكاة من أهم المؤسسات التي كان لها الدور الفعال في تنمية التعليم ، فلقد شملت الأموال الزكوية كثيراً من الجوانب المختلفة التي تخدم عملية التعليم والتعلم ، ومن أهم هذه الجوانب إنشاء المدارس وتجهيزها وتوفير العاملين فيها من معلمين وغيرهم ، وتشجيع طلاب العلم على الانخراط في عملية التعليم من خلال التسهيلات التي وفرت لهم ، وبالإضافة إلى إنشاء المكتبات وتجهيزها وغير ذلك من الجوانب الأخرى "[1] ، ولتشجيع ثقافة المساعدة العلمية بين الطلاب والطالبات يمكن أن نقوم بإنشاء الصناديق الزكوية على مبدأ المشاركة الجماعية أو زكاة النقد الجماعية ، وتعتبر أموال الصناديق بمثابة وقف خيري لتمويل الطلاب والطالبات لتكميل دراستهم الثانوية أو العالية ، وسد احتياجاتهم من اللوازم الدراسية المختلفة ، بحيث يساعد في القضاء على ظاهر الأمية في المجتمعات كما أنه يساعد المعوزين في التحاقهم بالمدارس والكتاتيب ، فيؤدي كل ذلك لازدهار الحركة العلمية والثقافية[2] ، وقد أكدت الدراسات المعاصرة أن نهضة المجتمع نهضة علمية وثقافية تنحصر على النهوض بالمجتمع علمياً وثقافياً[3] ، وفي الهند كثير من

١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ، ص ٢٢٦ .

[1] الأسرج ، حسين عبد المطلب ، نحو تفعيل الوقف الإسلامي لأعمال حقوق الإنسان .

[2] راجع : الوهيبي ، صالح بن سليمان ، دور الوقف في دعم المؤسسات والوسائل التعليمية ، مرجع سابق ، ص ٧٢٢ – ٧٢٣ .

[3] راجع : رحماني ، إبراهيم ، الوقف العلمي وسبل تفعيله في الحياة المعاصرة ، بحث

المدارس الإسلامية مثل جامعة ندوة العلماء وجامعة ديوبند وجامعة مظاهر العلوم التي تأسست قبل مائة سنة – ولا تزال موجودة في الساحة العلمية والثقافية مع القيام بدورها العلمي الريادي في المجتمع الهندي – تعتمد من أول يومها على الأموال الزكوية من أغنياء المسلمين ، وتقوم بإعانة الدارسين والمتعلمين والمشتغلين بالبحث والتحقيق والكتابة والتأليف ، وتكفل لجميع الطلاب والمدرسين مصارفهم الدراسية والغذائية والسكنية ، والنفقات الأخرى [1] ، ويتمثل مال الزكاة للتعليم في بناء الكتاتيب والمكتبات وإنشاء المدارس الوقفية والمعاهد العلمية وغير ذلك ، كله يعد من تقوية الحركة العلمية في المجتمع [2] .

الزكاة للصحة :

تعد المستشفيات من الظواهر البارزة في تاريخ الحضارة الإسلامية في القرون الماضية ، ومن المعلوم أن أساس نشأتها الأوقاف بداية وتطوراً وتعليماً للعاملين فيها ، وبرزت أسماء عديدة في هذا المجال ، مثل المستشفيات العضدية ببغداد ، والمستشفيات النورية في دمشق ، والمستشفيات المنصورية في القاهرة ، ومستشفيات مراكش ، والمستشفيات المقتدرية ، ويقدم للمرضى في هذه المستشفيات العناية الصحية وفق تنظيم مدهش لفت انتباه كل من زارها ، فبالإضافة إلى الأكل والشرب والملبس الذي يقدم للمرضى برزت خدمات اجتماعية مصاحبة [3] ، فقد كان لنظام الوقف الخيري أثر كبير في دعم خدمات الرعاية الصحية للمواطنين والسكان على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ، وكان للوقف الخيري أثر حميد في

ضمن أعمال أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية ، ص ٨١١ – ٨١٣ ، والشلتوتي ، أنور محمد ، التدابير الشرعية لإعادة الوقف العلمي إلى دوره الفاعل في النهضة العلمية للأمة ، ضمن أعمال أثر الوقف الإسلامية في النهضة العلمية ، ص ٧ – ٨ .

[1] راجع : الحسني ، عبد الحي بن فخر الدين ، الهند في العهد الإسلامي ، (الهند ، مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ، د . ط ، ص ٣٥٦ – ٣٥٩ ، والندوي ، أبو الحسن علي ، المسلمون في الهند ، ط ١ ، (دمشق ، دار ابن كثير ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ، ص ١٢٩ – ١٤٠ .

[2] راجع : مجلس التعليم ، سلطنة عمان ، الوقف التعليمي ، موروث حضاري وآفاق مستقبلية ، ١٧ – ١٩ .

[3] راجع : السباعي ، مصطفى ، من روائع حضارتنا ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ – ١١٨ ، والحسنية ، سليم ، من البيمارستان إلى المستشفى دراسة تحليلية مقارنة للنظام الإداري ، ط ١ ، (الشام : وزارة الثقافة دمشق ، ١٩٩٨م) ، ص ٩ – ١٧ .

النهوض بعلوم الطب ، لأن دور المستشفيات التي ينفق عليها من الأوقاف لم يقتصر على تقديم العلاج ، وإنما تعدى ذلك إلى تدريس علم الطب [1] .

إن التجربة الإسلامية العريقة في مجال الوقف الصحي يمكن تكرارها اليوم عن طريق الأموال الزكوية ولجان الزكاة ونظامها ، ومن المجالات التي يمكن أن يسهم بها نظام الزكاة في مجال الخدمات الصحية حسب إمكانيات المزكين ، وسوف تحل كثير من المشكلات القائمة في مجال الرعاية الصحية اليوم ، ولتفعيل نظام الزكاة في مجال الصحة يشجع :

- بناء المستشفيات الكبيرة والصغيرة والمستوصفات سواء العامة منها أو المتخصصة عن طريق لجان الزكاة ، إما بتقديم المنشآت أو الأراضي الخاصة بها أو عمارتها أو تجهيزها وفرشها أو القيام بذلك كله .
- توفير الأجهزة الطبية التي تحتاج إليها المستشفيات والمراكز الصحية مثل جهاز غسيل الكلى وأجهزة الأشعة المتطورة وغيرها مما قد لا يتوافر في كثير من المستشفيات رغم الحاجة المتزايدة إليها ، وخاصة للفقراء والمساكين ، وذلك عن الأموال الزكوية .
- شراء سيارة الإسعاف وغيرها من الوسائل المساعدة التي تحتاج إليها المستشفيات والمراكز الطبية اليوم ، وذلك عن طريق أموال الزكاة .
- توفير الأدوية حيث يمكن تخصيص بعض الأموال الزكوية لتوفير الأدوية وخاصة أدوية الأمراض المزمنة ، مثل أدوية السكر وأدوية الضغط وأدوية القلب وغيرها للفقراء والمحتاجين الذين لا يستطيعون شراءها بسبب فقرهم .
- تحديد بعض الأموال الزكوية من لجان الزكاة على كليات الطب والمعاهد الصحية ، وتوفير احتياجات طلابها وأساتذتها من الكتب والأجهزة وغير ذلك .
- وهذه فقط أمثلة يمكن أن يضاف إليها الكثير مما يمكن أن يقدمه نظام الزكاة في مجال دعم مؤسسات الرعاية الصحية في البلاد الإسلامية وغيرها [2] .

---

[1] راجع : الأسرج ، حسين عبد المطلب ، نحو تفعيل الوقف الإسلامي لأعمال حقوق الإنسان ، مرجع سابق .

[2] راجع : الأسرج ، حسين عبد المطلب ، نحو تفعيل الوقف الإسلامي لأعمال حقوق الإنسان ، مرجع سابق .

قانون الأوقاف الإسلامية في الهند : مضاره وسلبياته

فضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحماني *
ترجمة من الأردية : الدكتور محمد أعظم الندوي ♣

من المؤسف للغاية أن الحكومة التي هاج بها طرب السلطة ، وتقتاتُ على تجارةِ الكراهية ، قد أقرّت قانونَ تعديل الوقف لعام ٢٠٢٤م ، بالرغم من معارضةِ المسلمين ، بل ومعارضةِ جميع القوى العادلة والعلمانية في البلاد ، وبعد توقيع فخامة رئيسة جمهورية الهند ، أضحى هذا القانون ساري المفعول ، وإنْ كان هذا القانونُ بأكمله قائماً على معاداةِ المسلمين ، ومصادماً للدستور ، ومشحوناً بالاضطهاد والظلم ، إلا أنّ من اللازم الوقوفَ عند بعضِ جوانبه الفاقعة التي تُجسّدُ بأجلى صورةٍ ملامحَ التحيّز والإجحاف .

محاولةُ الاستيلاءِ على ممتلكاتِ الوقف :

(١) يهدف هذا القانون إلى الاستيلاءِ على ممتلكاتِ الوقف وإضاعتها تحت غطاءٍ من التعاونِ الرسمي ، وقد وُضِعت لتحقيقِ ذلك عدّةُ تدابير وخُططٍ مُمنهجة على النحوِ التالي :

(أ) في قانون الوقف لعام ١٩٩٥م ، وردَ نصٌّ صريحٌ مفادُه أنَّ كلَّ عقارٍ استُخدِمَ لمدّةٍ طويلةٍ كمسجدٍ أو ضريحٍ أو مقبرة ، وكان مُخصّصاً لأغراضٍ دينيةٍ أو خيريةٍ ، يُعدّ وقفاً شرعياً ، ويُعرف هذا في القانون الوقفي المعاصر باسم : " الوقف بالاستخدام " (Waqf by User) ، بيد أنّ الحكومة الحاليّة قد حذفت هذا المفهوم تماماً من مشروع القانون الجديد الذي كانت قد تقدّمت به ، ثمّ ، وبعد ضغطٍ من المسلمين ، وبناءً على توجيهات بعض حلفاء حزب " التحالف الديمقراطي الوطني " (NDA) ، أُجري تعديلٌ على النصّ ، ونُصّ على أنَّ هذا المفهوم يُطبّق فقط على الأوقاف التي ستُنشأ في المستقبل ، أمّا الأوقافُ القائمة ، فسيُعترف فيها بالوقف بالاستخدام ، لكن بشرطٍ شديد : إنْ كان هناك نزاعٌ عليها ، أو كانت الأرضُ من أملاك الدولة ، فلن يُعتَبر الوقف ثابتاً بمجرد الاستخدام .

---

* رئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند .
♣ أستاذ الفقه الإسلامي بالمعهد العالي الإسلامي – حيدرآباد .

وهذا في جوهره محاولةٌ غير مباشرةٍ للاستيلاء على أوقاف الماضي ، فغالباً ما يُقدِم الواقفون على تخصيص أراضٍ أو عقاراتٍ لله تعالى لأغراضٍ دينيّة أو خيريّة ، ثم ينسحبون منها تماماً ، معتقدين أنهم سلّموها لله ، دونَ أن يسجّلوها رسمياً ، وعندما تُجري الحكومة مسحاً للأراضي ، لا يظهر أحدٌ للمطالبة بهذه الأملاك ، فتُدرَج ضمن " أملاك الدولة " ، ويوجد عددٌ كبيرٌ من هذه الأملاك الوقفية في القرى والبلدات والمدن الصغيرة ، وتُعدّ الآنَ مهددة بالاستيلاء تحت غطاء القانون ، باعتبارها " أملاكاً حكوميّة " ، وثمّة وجهٌ آخر من الخطر ، وهو أنّ الجماعات الهندوسيّة المتطرّفة والإرهابيّة في البلاد بدأت حملةً منظّمةً للمطالبة – دون دليلٍ أو برهان – باعتبار العديد من المساجد والأضرحة والساحات الدينية الإسلامية " أماكنَ هندوسيّةً مقدّسة " ، وقد بدأ هذا النمط مع المسجد البابري بأيودهيا ، حين وُضع سرّاً صنمٌ من الأصنام تحت جنح الظلام ، وزُعِم أنّ الإله " راما " قد تجلّى هناك ، واليوم تتكرّر هذه الادّعاءات في مختلف أنحاء الهند ، مثل ما يُقال في " مسجد غيان وابي " أنّ نافورة الميضأة ما هي إلا شيف لينغ " (Shivling) ، وهو العضو التناسلي لإلههم " شيفا " ، وهو عضو يعبده الهندوس ، وتوضع صوره وتماثيله في معابدهم ، كما أنّ المجلس الهندوسي العالمي VHP قام بإعداد قائمة تضمّ ما يقارب ٣٥٠٠ مسجد ، تدّعي أنها كانت معابد ، وتزداد هذه القائمة يوماً بعد يوم ، تُعلّق الرايات الزعفرانية المثلّثة على الأضرحة ، وتُهدم المقابر ، كما أن الحكومة تعتبرها مواضع نزاع استناداً إلى ادعاءات باطلة لا دليل عليها ، وبذلك تكون الحكومة ، من جهة ، قد أرضت حلفاءها عبر استثناء الأوقاف القديمة في الظاهر ، ومن جهة أخرى ، قد فتحت الباب – بدهاءٍ وذكاءٍ – للاستيلاء عليها ، سواء عبر أجهزتها أو عبر تمكين الجماعات المتطرّفة من وضع اليد عليها باسم الدين .

(ب) كانت المادة (١٠٧) من قانون الوقف لعام ١٩٩٥م تنصّ على استثناء أملاك الوقف من أحكام " قانون التقادم " (Limitation Act) ، وهو القانون الذي يُقرّ بملكيّة العقار لمن استولى عليه مدة اثني عشر عاماً أو أكثر ، ويمنحه الحقّ القانوني في تملّكه ، وقد كان هذا الاستثناء مفيداً جدّاً ، إذ أتاحَ للمؤسّسات الوقفيّة استرجاع ممتلكاتها التي كانت خاضعةً لاحتلالٍ قديمٍ وغير شرعيّ ، أما في القانون الجديد ، فقد تمّ إلغاء هذا الاستثناء ، ما يعني إخضاع أعيان الوقف لأحكام " قانون

التقادم " العامة ، وبذلك تُمنَح المشروعيّة للقبضات الغاصبة القديمة ، ويُضفى عليها طابعٌ قانونيّ ، الأمر الذي يُعدّ ضربةً قاصمةً للحقوق الوقفيّة ، وتفريطاً متعمّداً بأملاكٍ دينيّةٍ وخيريّةٍ لا يجوز التصرف فيها شرعاً ولا عرفاً .

(ج) لقد أوقف العديد من الملوك المسلمين والنُّوّاب والمُلاّك في الهند ، في عصورٍ مختلفة ، أوقافاً لصالح رعاياهم من غير المسلمين ؛ كما أنّ عدداً من الحكّام والراجات غير المسلمين تبرّعوا بأراضٍ ومبانٍ لصالح المسلمين ، ولا يزال كثيرٌ من الإخوة غير المسلمين في عصرنا يُقدّمون عقارات لأعمال الخير لصالح جيرانهم المسلمين ، وكذلك يُقدّم المسلمون الهبات العقارية لإخوانهم من المواطنين غير المسلمين .

لكنّ القانون الجديد ألغى الاعترافَ بتلك العقارات التي تبرّع بها غير المسلمين ، إذا كانت تُستخدم فعلياً كمساجد أو مقابر أو رباطات للمسافرين ، وبهذا تُستبعَد هذه الأملاك من نطاق الوقف ، وتُخرَج من حمايته ، ما يجعلها عرضةً لخطر الاستيلاء عليها من قبل الدولة ، ويهدّد ضياع عددٍ كبيرٍ من الأوقاف التي شُيّدت على مبدأ التعايش والتسامح بين أبناء الوطن الواحد .

قانون قائم على التمييز والتفرقة :

(٢) إن هذا القانون قائمٌ في جوهره على التفرقة والتمييز؛ ويتجلّى ذلك في ما يلي :

(أ) إنّ مفهوم " الوقف بالاستخدام " لا يزال مُعتمداً في حالة الأملاك الدينية الخاصة بالهندوس ، والسيخ ، والبوذيين ، وأتباع الديانات الأخرى ، بينما أُلغيَ هذا المفهوم في حالة الأوقاف الإسلامية ، كما سبقت الإشارة إليه ، وهو ما يُمثّل تمييزاً صارخاً بين المسلمين وغيرهم في القانون نفسه .

(ب) كذلك ، فإنّ الاستثناء من " قانون التقادم " لا يزال سارياً بالنسبة للهندوس والسيخ والبوذيين والمسيحيين ، إلا أنّ هذا القانون يحرم المسلمين من هذا الامتياز ، ويجرّدهم من أحد أهمّ أدوات حماية أوقافهم .

(ج) في نظام " الهندو إندومنتس " (Hindu Endowments) – وهو ما يُشبه الوقف الهندوسي – يُشترط أن يكون جميع أعضاء الإدارة من الهندوس ، وتوجد قوانين في ولايات مثل أترا براديش ، كيرلا ، كارناتكا ، وتامل نادو ، تنصّ على أن إدارة الأملاك الدينية الهندوسية

لا تُسند إلا للهندوس ، وفي " قانون الإندومنت " الخاص بولاية بيهار ، أُنشئت ثلاثة مجالس : مجلس الإندومنت الهندوسي ، ومجلس الإندومنت الجيني (سوتمبر) ، ومجلس الإندومنت الجيني (دغمبر) ، ويُشترط في جميع أعضاء هذه المجالس أن يكونوا من أتباع الديانة المعنية ، وكذلك " لجنة إدارة المعابد السيخية " (Gurdwara Prabandhak Committee) يشترط في أعضائها أن يكونوا من الطائفة السيخية فقط ، أما في القانون الجديد المتعلق بالأوقاف الإسلامية ، فقد فُرضَ أن يكون هناك – وجوباً – اثنان من غير المسلمين ضمن إدارة الأوقاف ، وتمّ تقليص تمثيل المسلمين في أكثر من جانب ؛ فقد كانت الشروط السابقة تنصّ على أن يكون الرئيس التنفيذي للوقف مسلماً ، فتمّ حذف هذا الشرط ، وكان تعيينه يتمّ بناءً على توصية مجلس الوقف ، أما الآن فالحكومة هي التي تُعيّنه مباشرة .

وفي " المجلس المركزي للأوقاف " ، كان يُسمَح سابقاً بعضوٍ غير مسلم واحد ، أمّا الآن فقد رُفِع العدد إلى ثلاثة عشر عضواً ، منهم عضوان غير مسلمين على الأقلّ ، وفي مجالس الأوقاف على مستوى الولايات ، كان يمكن لرئيسٍ غير مسلم أن يترأس المجلس ، ولكنّ الأعضاء الآخرين كانوا كلّهم من المسلمين ، ويُنتخبون ، بينما الآن يُسمح بسبعة أعضاء غير مسلمين ، ويُفرَض وجود عضوَين غير مسلمين وجوباً ، كما لم يعُد الأعضاء يُنتَخَبون كما كان الحال ، بل تقوم الحكومة بتعيينهم مباشرة .

العرقلة في إنشاء الأوقاف :

لقد سعى هذا القانون أيضاً إلى عرقلة إنشاء الأوقاف الجديدة ؛ إذ سبق أن بيّنّا أنه لا يُسمَح لغير المسلم بإنشاء وقف ، وهو أمرٌ يُخالف تقاليد التعايش والتبرّع الخيري في الهند ، ولكن الأخطر من ذلك ما ورد في نص القانون من أنّ من يرغب في إنشاء وقف إسلامي يجب أن يكون قد مارس الإسلام فعلياً لمدة لا تقل عن خمس سنوات متواصلة قبل إنشاء الوقف .

وهذا النصّ يُعدّ مخالفاً صريحاً لأحكام الشريعة الإسلامية ؛ إذ في نظر الإسلام ، من أسلم اليوم فهو مسلمٌ كامل الحقوق والواجبات ، كمن أسلم قبل خمس سنوات أو خمسين ، ولا يجوز شرعاً تقييد حقّ المسلم في التبرّع أو الوقف بمثل هذا القيد الزمني ، بل إنّ هذا التقييد يُجسّد انتهاكاً لحقّ ديني أصيل ، ويُشكّل تمييزاً غير مبرّر بين المسلمين

أنفسهم ، فضلاً عن كونه يجعل من إجراءات إثبات الالتزام بالإسلام على مدى خمس سنوات أمراً شاقّاً ومفتوحاً على التأويلات والمزاج السياسي ، وبذلك يُصبح إنشاء الوقف ، الذي هو في أصله عملٌ تطوّعيٌّ خالص لوجه اللّه ، أمراً معقّداً ومُقيّداً بضوابط تعسفيّة لا تمتّ إلى جوهر الشريعة ولا إلى روح القانون العادل بصلة .

مخالفة أصول الوقف الثابتة في الشريعة الإسلامية :

إنّ من المبادئ الراسخة في الإسلام أنّ المالك له الحقّ الكامل في التصرّف في ممتلكاته تصرّفاً مشروعاً ، وأنّ الإحسان إلى الأولاد والأقارب يُعدّ من أعظم وجوه البرّ والثواب ؛ حتى إنّ النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قال : " وإنك لن تُنفق نفقة تبتغي بها وجه اللّه إلا أُجِرتَ عليها ، حتى اللقمة تضعها في فيّ امرأتك " .

ومن هذا المنطلق ، أقرّ الإسلام مشروعيّة " الوقف على الأولاد " ، وهو أمرٌ ثابت عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم ، وكذلك عن أبي بكر ، وعمر ، وعليٍ ، وجمعٍ من الصحابة رضي اللّه عنهم ، حيث يجوز للإنسان أن يوقف أرضاً أو عقاراً لصالح ذريّته ، بحيث ينتفع بها أفراد عائلته دون أن يكون لهم حقّ بيعها أو التصرف فيها بما يُخالف شروط الواقف .

غير أنّ القانون الجديد سعى إلى تعديل هذا الأصل أيضاً ؛ إذ ورد في مشروع القانون الأصلي أن الوقف لا يكون معتبراً إلا إذا لم يُخلّ بحقوق الورثة الشرعيين ، وهذه الصيغة مردودةٌ شرعاً ، لأنّ حقّ الورثة لا ينشأ إلا بعد وفاة المورّث ، ويُستوفى من خلال قسمة التركة ، لا من خلال تقييد تصرّفاته في حياته ، ثم في التعديلات الأربعة عشرة الأخيرة ، تمّ إدراج صيغة تنصّ على أن الوقف على الأولاد لا يجوز أن يُؤدّي إلى انتقاص أيّ " حقّ قانوني " ، وهي عبارةٌ واسعةٌ وفضفاضة ، تفتح الباب أمام تأويلاتٍ قانونيّةٍ تتعارض مع المبادئ الشرعية المستقرة .

وبذلك يُعتبر هذا التدخّل في " الوقف على الأولاد " تعدّياً صريحاً على أحد أركان نظام الوقف في الإسلام ، وتدخّلاً غير مشروعٍ في ما قرّرته الشريعة من حقوقٍ للمالك في حياته .

محاولة إضعاف قانون الوقف :

من صور السعي إلى إضعاف قانون الوقف ما تضمّنه هذا القانون الجديد من إلغاء صفة " القانون المُقدَّم " (Overriding Act) التي كانت مُعترفاً بها سابقاً لقانون الوقف ؛ أي أنه إذا وُجد تعارضٌ بين قانون الوقف

وأيّ قانون آخر ، فإنّ قانون الوقف هو الذي يُطبّق ويُقدَّم ، أما في هذا المشروع الجديد ، فقد أُلغيت هذه السمة ، ما يُضعف مكانة قانون الوقف قانونياً ، ويجعل أحكامه خاضعةً لتأويلات القوانين العامة الأخرى ، فينتفي بذلك أثره الخاص ، والحقيقة أنّ قانون الوقف هو قانونٌ خاص (Special Law) ، ومن المبادئ القانونية المقرّرة – والتي أكّدتها أحكام المحكمة العليا – أن القانون الخاص يُقدَّم على القانون العام عند التعارض ، وهذا لا يقتصر على قانون الوقف وحده ، بل هو مبدأٌ نافذ في جميع القوانين الخاصة ، غير أنّ هذا الامتياز ، الذي هو حقّ أصيل من حيث التشريع والقضاء ، قد حُرم منه قانون الوقف وحده ، في خطوةٍ تُعدّ تمييزاً قانونياً غير مبرَّر ، ومساساً مباشراً بخصوصيّة الوقف وخصوصيّة أحكامه في الشريعة الإسلامية .

الاحتيال على الحقيقة حين يُبنى القانون على الأكاذيب :

لعلّ من أعظم ما يُؤسَف له في هذا العصر أن تتّخذ السلطة من الكذب وسيلة للحكم ، وأن يصبح تزييف الوقائع طريقةً ممنهجة ، حتى لكأنّ مسؤولي الدولة قد بلغوا في ذلك مبلغاً يجعلهم أوائلَ من يستحقون جوائزَ إن أُنشئت يوماً لتكريم الأكاذيب والوعود الزائفة !

وفيما يتعلّق بقضية الوقف ، تتكرّر على ألسنتهم مزاعمُ وافتراءاتٌ تؤثّر في الرأي العام وتُضلّل المواطنين . ومن أبرز هذه الأكاذيب ما يلي :

(١) " مؤسسات الوقف تمتلك أكثر العقارات في البلاد ؛ لأنها تستطيع أن تدعي على أي عقار ، تُروَّج هذه المقولة كثيراً ، ويُقال : إنّ الوقف يمتلك قرابة ست مائة ألف فدّان ، ويُعتبر ثالث أكبر مالكٍ للأراضي في الهند !

غير أنّ أحد المتخصّصين قد فصّل الحقيقة فقال :

بحسب تقرير لجنة " سَتْشَر " Sachar Committee فإنّ مجمل أراضي الوقف في عموم الهند لا يتعدّى ست مائة ألف فدّان ، بينما نجد في ولاية " تاميل نادو " وحدها ما يقرب من ٤٧٨,٠٠٠ فدّان من الأراضي تحت يد الهندو إندومنت ، وفي " آندرا براديش " ٤٦٨,٠٠٠ فدّان ، أي أنّ هاتين الولايتين معاً تتجاوزان تسع مائة ألف وأربعين ألف فدّان ، ما يفوق مجمل أملاك الوقف في الهند كلها ، ثم إنّ تسجيل أي أرض كوقف ليس أمراً سرّياً ، بل يتمّ وفق آلية قانونية مفصّلة في " قانون الوقف " ، فلا يُقبل الوقف إلا من مالكٍ رسمي ، يقدّم وثائقه ويُعلَن ذلك في الجريدة الرسمية ،

وتُفتح أبواب الاعتراض للجمهور ، ويتمّ تحقيق ميداني بإشراف " مفوض المسح " ، وتُنشَر النتائج رسمياً ، ويمكن الطعن فيها أمام " محكمة الوقف " خلال عام كامل .

أما من الناحية الواقعية ، فإن في الهند ما يقرب من سبع مائة ألف وسبعين ألف قرية ، ولو قُدِّر أنّ نصفها يسكنه مسلمون في عدد قليل أم كثير ، فلدينا ٣٨٥,٠٠٠ قرية مسلمة ، ولكلّ واحدة منها عادةً مسجد ، ومصلى ، ومقبرة ، ولو قُدِّر لكلّ منها مساحة متواضعة بمتوسط ٥,٢ فدّان ، لبلغ مجموع أملاك المسلمين من الأوقاف ما يُقارب ٩٦٢,٥٠٠ فدّان ، وهو ما يتجاوز الرقم المُعلن بكثير ، وهذه الأرض لم تهبها الدولة ، بل اشتراها المسلمون بمالهم ، وأوقفوها طوعاً لخدمة دينهم ومجتمعهم .

(٢) " محكمة الوقف تصدر أحكاماً منفردة لصالح الوقف ، وتُتيح له السيطرة على العقارات ! "

وهذه كذبة أخرى ؛ إذ إنّ محكمة الوقف (التربيونال) ليست جهازاً إدارياً تابعاً للوقف ، بل هي محكمة مدنية يترأسها قاضٍ من درجة قاضي محكمة المقاطعة ، وتُنظر فيها القضايا كما تُنظر في المحاكم الأخرى ، ولكل طرفٍ الحقّ في تقديم بيناته أمام محكمة الاستئناف ، ثم المحكمة العليا (Supreme Court) ، فلا مجال هنا للأحكام الاعتباطية أو الاستيلاء القهري ، فهذه دعاية كاذبة .

(٣) " قانون الوقف السابق يسمح للوقف بالادعاء على أي عقار شاء ! "

وهذا تضليلٌ صريح ؛ فالوقف ، كأي جهة أو فرد ، لا يمكنه أن يرفع دعوى بلا مستندات ، فليس هناك ما يمنع قانوناً أي طرفٍ من الادعاء على أرض يزعم أحقيته بها ، لكنّ المحكمة لا تقبل أيّ دعوى إلا ببينة ، ولا تفصل في شيئ إلا بعد إثبات الحقّ بالوثائق والشهود ، ومن ثمّ ، فإنّ هذه المقولة ليست سوى دعاية إعلامية تهدف إلى تشويه صورة الوقف ، وإثارة الرأي العام ضده .

وبذلك ، يتّضح أنّ هذه الأكاذيب المتكررة ليست مجرد أخطاء في التعبير أو نقصاً في المعلومات ، بل هي جزءٌ من حملةٍ منظّمة لتشويه النظام الوقفي ، وتهيئة الأرضية لتقنين الاستيلاء عليه باسم " الإصلاح " : (وَإِذَا قِيلَ لَهُم لَا تُفسِدُوا فِي ٱلأَرضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحنُ مُصلِحُونَ . أَلَآ إِنَّهُم هُمُ ٱلمُفسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشعُرُونَ) [البقرة : ١١ – ١٢] .

جدلية العقل والنقل
الأحاديث النبوية نموذجاً

الدكتور خورشيد أشرف إقبال الندوي*

موضوع الدمج بين العقل والنقل في النصوص الدينية :

إن جدلية العقل والنقل مسألة قديمة جديدة ومتجددة ، والناظر في هذه القضية يرى أن نشأة إشكالية التعارض بين العقل والنقل كانت بعد انفتاح المسلمين على الثقافات الأخرى ، وترجمة كتب المنطق والفلسفة اليونانية ؛ حيث تأثر بعض مفكري المسلمين وعلمائهم بتلك الفلسفة بتعظيمها للعقل وجعله معيار قبول الأشياء وردها ، فما عارضه من الشريعة يجب تأويله بما يتوافق مع دلائل العقل طبقاً للمقرر في تلك الفلسفة ، ويزداد الجدل حول هذه القضية كثيراً ، حينما تعلو أصوات الثقافات المتغلبة في تجلياتها الحداثية ، التي أقصت الوحي الإلهي عن واقع الحياة ، وأحلت محله عقل الإنسان ، فألّهت العقل وجعلته معيار قبول الأشياء وردها ، ما أرخى بظلاله على منطق التفكير الديني في بعض الأوساط ، لتأويل عقائد الدين وأحكامه لتتوافق مع العقلانية المقررة في تلك الثقافات .

وقد تجسّدت العلاقة بين العقل والنقل في الإسلام مبدأً من مبادئ الاعتدال والتوازن ، فالعقل ، بما هو أداة للتفكير والتحليل والتأمل العميق في النصوص بشكل يتماشى مع الظروف المتغيرة ؛ فهو ملكة ربانية وهبها الله تعالى الإنسان ليميز بواسطتها الخطأ من الصواب .

والنقل ، بما هو مصدر المعلومات الدينية الثابتة الموثوقة ، يطلق على ما نُقل إلينا من كلام الله تعالى (القرآن الكريم) ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة ، هو مرجع أساسي يُعتمد عليه في التشريع الإسلامي وتوجيه الحياة اليومية للمسلمين ، وله دور محوري في

* الجامعة المحمدية ، ماليغاؤن ، مهاراشتر (الهند) .

استنباط الأحكام الشرعية وتحديد القوانين .

ولـذا يُعَـدُّ اخـتلاف العلمـاء في التعـارض بـين العقـل والنقـل في النصوص الدينية موضوعاً معقداً ؛ يعكس هذا الاختلاف تباين التوجهات الفقهية والفلسفية في تفسيرها وتطبيقها ، لكنها كثيراً ما تُوضع في غير وضعها الصحيح ، فتارةً يُسمى ما ليس عقلاً عقلاً ، مثل الظنون والأوهام والأهواء والشهوات والأغراض الشخصية ، وتارةً تعمم الأحكام الظنية على نصوص الشرع كلها مع الاعتراف بأن في الشرع ما هو ظني الثبوت وكثيراً مما هو من ظني الدلالة ، لكن خطر التعميم يوقع في إشكالات ، وتارةً يعتبر العقل مؤسساً للنقل وقاعدةً له ، وهذا قد يصح بوجه ، لكن المولعين بالدراسات الفلسفية ينسفون بهذه المسألة كثيراً من دلالات النصوص الشرعية وإن كانت قطعية الثبوت قطعية الدلالة .

وتُعَـدُّ جدليـة العقـل والنقـل في النـصوص الدينيـة مـن القـضايا الفكرية العميقة التي أثارت نقاشات مستفيضة بين العلماء والمفكرين على مر الأزمان ، تعكس هذه المسألة كيفية تفاعل النصوص مع العقلانية والتفسير العقلاني في فهم الدين .

وتراوحت أقوال الاتجاهات الدينية بين من يرى تقديم النقل على العقل مطلقاً ، ومن يعاكسه بتقديم العقل على النقل مطلقاً ، ومن شق طريقاً بتحديد القطعي منهما وتقديمه على الآخر بصفته قطعيّاً ، وليس باعتبار جنسه سواء كان عقليّاً أم نقليّاً بحسب باحثين ، ولا تعارض في الواقع – من حيث الأصل – بين قطعيين من العقل والنقل ؛ لأن الذي خلق العقل هو الذي أنزل النقل ، فإن حصل تعارض فإنما هو من جهة الناظر في الأدلة ؛ وذلك لأن مرد كليهما إلى الله تعالى ، ولا يمكن أن يختلف كل من حكم الله وخلقه وسننه في كونه .

ومن الأمور التي تعين الأطراف المختلفة على تضييق هوة الخلاف بينها ، وتجعل اجتماعها أكثر سهولةً ويُسراً ، التذكير الدائم بأن عقول الناس تتفاوت في الفهم ، وأن كل زمان وبيئة يدرك أهلهما بعقولهم ما لم يدركه من سبقهم ولا من يأتي بعدهم ، وأن ما ينكره عقل البعض قد يستوعبه ويقبله عقل الآخرين .

وقد يتوهم الناظر في الأدلة وجود القطع في أحد الجانبين والأمر

بخلافه ، أو قد يقلد غيره ، أو تشتبه عليه الأدلة ثبوتاً أو دلالةً ، فيقع الخطأ من جهة نظره ، وليس من جهة الأدلة القطعية ذاتها سواءً أكانت عقليةً أم نقليةً .

إذاً القانون الثابت الذي ينبغي إعماله دائماً هو التحقق من صحة النقل أولاً ، ومن ثم التحقق من دلالته ، ثم التحقق من عقلية العقل ، وألا تُقحم فيه الجهالات والأهواء ، ثم تُسمى عقلاً تمويهاً ومخادعةً ، ومتى أمكن الجمع بين النقل الصحيح الصريح ، والعقل الصريح بأي وجه من وجوهه وجب المصير إليه ، ولا شك في أن الجمع متاح دائماً ، وهو مطّرد لا يتخلف أبداً ، إلا إذا تخلفت صحة النقل ، أو اشتبهت دلالته ، أو ادُّعي ما ليس بعقل عقلاً ، وهذا هو الواقع في جميع حالات التعارض والاختلاف .

قال الإمام الشافعي : " لا يصح عن النبي أبداً حديثان صحيحان متضادان ينفي أحدهما ما يثبته الآخر " (الشوكاني ، ١٤١٩هـ ٢/٢٦١) .

وقال الإمام ابن خزيمة : " لا أعرف أنه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثان بإسنادين صحيحين ، متضادان ، فمن كان عنده فليأت به حتى أولف بينهما " . (الخطيب ، ١٣٥٧هـ ، ص ٤٣٢) .

ودفع التعارض ضروريٌّ لتحقيق التفسير الصحيح والتطبيق السليم للأحاديث النبوية ؛ وذلك لأنه من المناسب إمعان النظر في معرفة الحقيقة والصواب ، لا الطرد والإبعاد وعدم الاعتماد ؛ لأن التعارض والخلاف يمكن إزالته بمراعاة مقاصد الشريعة في ضوء أصول علمية وضوابط فنية . فهذا الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يُقبِّل الحجر الأسود ، ثم يُحكِّم عقله في صنيعه ، فيخرج بنتيجة مفادها " إني لأعلم أنك حجر ، لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبّلك ما قبّلتُك " (البخاري ١٤٣٥هـ ، برقم ١٥٢٠) .

وعلى هذا فالعقل بمنطقه الواعي هدى عمرَ رضي الله عنه إلى الصواب ؛ وهو أن الحجر الأسود حجر ليس منه ضرر ولا نفع ، لكن هل توقف عمر عند استنتاج العقل ، واكتفى به ؟ لا ، بل وازن بينه وبين النقل (السنة النبوية) ، فقدَّم ما نص عليه النقل (السنة) على ما توصل إليه العقل .

قال الحافظ ابن حجر : " وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في

أمور الدين وحسن الاتباع فيما لا يكشف عن معانيها ، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة " (ابن حجر ، ١٤٢٩هـ ٣/٤٧٥) .

وهذا الصحابي الجليل عبد الله بن جبير في خمسين من الصحابة رضي الله عنهم يأمرهم الرسول أن يبقوا على جبل الرماة ليحموا ظهور المسلمين في غزوة أُحد ، ويأمرهم بألا يبرحوا مكانهم سواءً انتصر المسلمون أو غُلِبوا ، لكنهم عندما رأوا النصر تحقق للمسلمين حكّموا العقل وخالفوا النقل – الذي كان حيّاً بينهم – فحصل في المسلمين ما حصل من القتل .

ومع المكانة العالية للنقل إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجعله فاصلاً في كل شيئ خصوصاً في بعض أمور الدنيا ؛ فقد قال لأصحابه في حديث (تأبير النخل) " أنتم أعلمُ بأمر دنياكم " (مسلم ، ١٤٣٥هـ ، برقم ٢٣٦٣) .

فلعل لنا اليوم في هذه الوقائع الثلاث التي وقعت في الصدر الأول للإسلام – ومثيلاتها – مَخرجاً من الجدلية القائمة حول أحقيَّة (النقل والعقل) ؛ فقد اتضح أن النقل والعقل لا ينفكان عن بعضهما ، وأن بينهما الكثير من التقاطعات ، لكن للنقل (الصحيح) مجاله الأوسع في أمور الدِّين والغيب ، وللعقل (الواعي) مجاله الأرحب في أمور الدنيا ، وتستقيم المعادلة بما ورد عنه صلى الله عليه وسلم : " إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيئ من دينكم فخذوا به [النقل] ، وإذا أمرتكم بشيئ من رأي ، فإنما أنا بشر [العقل] " (مسلم ، ١٤٣٥هـ ، برقم ٢٣٦٢) .

وتدل هذه الوقائع بكل وضوح على أنه لا تعارض أصلاً بين عقل صريح ونقل صحيح ؛ فإذا ثبت النص لم يمكن أن يكون بينه وبين صريح العقل معارضة البتة ، وذلك بدهي ، فإن منزل الشرع وخالق العقل هو الله وحده لا شريك له ، وغاية ما يكون في هذا الباب أن تأتي النصوص بما تعجز العقول عن إدراك كيفيته ، لكن لا سبيل لها إلى الجزم بانتفائه ، ولذلك قيل : إن الشرع يأتي بمحارات العقول لا بمحالات العقول .

مناقشة القول بوجوب تقديم العقل على النقل :

اعتنى كثير من المتكلمين – قديماً وحديثاً – بالعلوم العقلية ، معتبرين أن " العقول طرق المعلومات " (الزركشي ، ١٤٢١هـ ١/٣٠) وأن

" العقل هو الحجة " (الجاحظ ، ١٤١٦هـ ٢٠٧/١) وأن " أحكامه يقينية لا كذب فيها " (ابن خلدون ، ١٩٨٤م ، ص : ٤٦٠) .

يقول عمرو بن بحر الجاحظ : " ما الحكم القاطع إلا للذهن ، وما الاستبانة الصحيحة إلا للعقل ؛ إذ كان زماماً على الأعضاء وعياراً على الحواس " (الجاحظ ، ١٩٨٢م ٤٥/٣) .

وبناءً على هذه النظرة التبجيلية تجاه العقل رأوا إمكانية وجود تعارض حقيقي بين أحكام العقل ومدلولات النقل .

وقد جنحت المدرسة العقلية إلى اعتبار أن أحكامه قطعية ، وهو ما لا يتوافر في النص ابتداءً ، ولهذا اشترطوا في صحة الاستدلال بالدليل السمعي (الدليل السمعي في عرف المتكلمين يشمل الكتاب والسنة والإجماع لا غير (انظر : الزركشي ، ١٤٢١هـ ٢٧/١) شروطاً من أهمها دفع المُعارض العقلي أو العلم بعدم المعارض العقلي ، كما قال الفخر الرازي : " الدليل السمع لا يفيد اليقين بوجود مدلوله إلا بشرط أن لا يوجد دليل عقلي على خلاف ظاهره " (الرازي ، ٢٠١٥م ١٤٣/١) .

وقال أيضاً : " الدليل النقلي تتوقف إفادته اليقين على مقدمة غير يقينية ، وهي عدم دليل عقلي يوجب تأويل ذلك النقل ، وكلما يَبتَنِي صحته على ما لا يكون يقينيّاً لم يكن هو أيضاً يقينيّاً " (الرازي ، ٢٠١٥م ١٤٤/١) .

أما أهل الحديث فقد منعوا من إمكانية وقوع تعارض حقيقي بين منقول صحيح ومعقول صريح ، منطلقين من إحدى المسلمات عندهم ، وهي أن من خلق العقل وأمر بإعماله هو من أنزل النقل وحض على اتباعه ، ومن ثم فإنه " إن وجد ما يوهم التعارض بين العقل والنقل ، فإما أن يكون النقل غير صحيح ، أو يكون صحيحاً (لكن) ليس فيه دلالة صحيحة على المدعي ، وإما أن يكون العقل فاسداً بفساد مُقدِّماته " (المطرفي ، ٢٠١٤م ص : ٤٩ ، وانظر أيضاً ابن تيمية ، ١٤١٧هـ ١٧٢/١) .

وقصارى القول في هذا الصدد أنه من أهم الفروق الجوهرية بين هاتين المدرستين أن الإيمان بشيئ ما لا يتوقف عند أهل الحديث على حكم العقل ، وإنما يتحصل بمجرد ثبوت النص به ، فالنص معصوم من الخطأ ، وهذه " العصمة بقدر ما هي في حقائق الشريعة فهي في ألفاظها

ودوالها " كذلك (أبو زيد ١٤١٦هـ ١٥٣/١) .

أما أهل العقل والنظر فلا يرون أن هذا الثبوت كاف ما لم يجاوز قنطرة المحكمات العقلية ، فالنظر العقلي في نهاية المطاف هو صاحب الكلمة الفصل فيه قبولاً أو رداً ، وهو المقدم عند وجود تعارض .

ولكن الإنسان العاقل المسلم يعلم أنه مخاطب بوحي من الله تعالى ، خالق العقل ومشرع الشرع ، لذا كان منهج الأوائل من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل السنة ، أنهم يقدمون الرواية على الرأي ، ويفضلون التركيز على النصوص النبوية كمصدر أساسي للشريعة ، ويُقللون من أهمية التفسير العقلاني عندما يبدو أن هناك تعارضاً بين النص والعقل ، ويعتقد هؤلاء العلماء أن النصوص النبوية يجب أن تُفهم كما هي ، وأن العقل لا ينبغي أن يتجاوز النصوص أو يتدخل في تفسيرها إلا في حدود ضيقة .

ورأوا أن القول بوجوب تقديم العقل على النقل لا يخلو من نظر ، وذلك من وجوه :

الأول : ما جُبل عليه العقلُ الإنساني من قصور يجعله في أحايين كثيرة عُرضةً للتباين في التقدير ، والتناقض في الأحكام والاستجابة الواعيةِ وغير الواعية لكثير من المؤثر ، و " كما أنَّ للحواس أغلاطاً معروفةً كرؤية الواحد اثنين والصغير كبيراً وعكسه ، وتوهُّمِ بعض الناس أنه يسمع كلاماً في حال أن الذين بجنبه لا يسمعون شيئاً ، واستطابةِ الروائح الكريهة في بعض الأمراض ، وطعمِ الماء العذب مُرّاً في بعضها . . ، فكذلك للعقل أغلاط أدق وأخفى " (اليماني ، ١٤٣٤هـ ٣٠٧/٢) ، وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ناصحاً أحدهم : " كما جُعل لطرفك حد ينتهي إليه كذلك جعل لعقلك حد ينتهي إليه " (أبو نعيم ١٤٠٥هـ ١٤١/٩) .

الثاني : أنه قد علم أن السنن ووجوه الحق قد تأتي على خلاف بادي الرّأي (ابن حجر ، ١٤٠٥هـ ١٨٩/٣) كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه : " لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خفيه " (أبو داود ١٤٣٤هـ برقم ١٦٢) .

الثالث : أن من المقطوع به أن العقول تتفاوت تفاوتاً عظيماً في سعة

قدراتها وفي مدى إدراكاتها فما يستحسنه عقل قد يقبح عقل ، وما يتقبله عقل قد ينفر منه غيره ، وما يستصوبه عقل قد يخطّؤه سواه ، بل إن العقل الواحد قد يقبل الشيئ في زمن أو مكان ثم يرده في زمن أو مكان آخر كما هو مشاهد ، وهذا بخلاف النص الذي يمتاز بالثبات والعصمة ، ومن هنا قال إمام دار الهجرة مالك ابن أنس رحمه الله : " أوَ كُلَّما جاءنا رجل أجدلُ من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء ؟ " (أحمد ، ١٤٠٨هـ ٧٢/٢) .

فللعقل – عند أهل الحديث – وظيفة لا ينبغي أن تتجاوز ، فهو شرط في معرفة العلوم وكمال الأعمال وصلاحها ، وبه يكمل العلم والعمل ، لكنه ليس مستقلاً بذلك ، بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين ، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار . وإنا نفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها . وانعزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أموراً حيوانية ، قد يكون فيها محبة ووجد وذوق كما قد يحصل للبهيمة . فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة ، والأقوال المخالفة للعقل باطلة " (ابن تيمية ، مجموع فتاوى بدون تاريخ ٣٣٨/٣) .

" وإذا انقاد العقل العادي للشرع وامتثل هُداه واستضاء بنوره فقد أمن ما يخُشى من قصوره " ، (اليماني ، ١٤٣٤هـ ٣٢٩/١١) ، وأهل الحديث " لا يطعنون في جنس الأدلة العقلية ولا فيما علم العقل صحته ، وإنما يطعنون فيما يدَّعي المعارض أنه يخالف الكتاب والسنة " (ابن تيمية ، ١٤١٧هـ ١٩٤/١) .

أما أهل العقل والنظر فقد ذهبوا إلى اعتماد النظر كأول واجب على المكلف ، وأنه لا تعارض بين العقل القطعي والنقل القطعي ، وفصَّلوا فيما سوى ذلك ؛ حيث قال أبو حامد الغزالي : " وعلى كل ، فقد ذهب الأشاعرة إلى وجوب تقديم العقل القاطع على النقل عند التعارض ، وقال الغزالي أيضاً : " إن ورد دليل سمعي على خلاف العقل ، فإما أن لا يكون متواتراً في علم أنه غير صحيح ، وإما أن يكون متواتراً في كون مؤوَّلاً . . . " (الغزالي ، ١٤١٣هـ ، ص : ٢٥٢) .

وأما (أن يوجد) نصٌّ متواتر لا يحتمل الخطأ والتأويل وهو على خلاف دليل العقل فذلك مُحال ؛ لأن دليل العقل لا يقبل النسخ والبطلان " (الغزالي ، ١٤١٣هـ ، ص : ٢٥٢) .

وقال فخر الدين الرازي : " القواطع العقلية لا تُعارضها الظواهر النقلية ، بل تُعلَم أن تلك الظواهر مؤولةٌ ولا حاجة إلى تعيين تأويلها " (الرازي ١٤٠٠هـ ٣٧٧/٢) ، وقال أيضاً : " آيات التشبيه كثيرة ، لكنها لما كانت معارضةً بالدلائل العقلية القطعية لا جَرَم أَوجبنا صرفَها عن ظواهرها " (الرازي ، ١٤٠٧هـ ١١٦/٩) .

وقد استدلوا على ذلك بأدلة عديدة ، منها :

الدليل الأول : قولهم إن الدلائل اللفظية لا تفيد اليقين ؛ لأنها مبنية على أصول ظنية ، والمبني على الظن يظني ، وأما الدلائل العقلية فتفيد اليقين ، والمظنون لا يعارض المقطوع (انظر : الرازي ، ١٤٠٤هـ ، ص : ٢٥ ، الرازي ١٤٠٠هـ ٥٤٧/١) .

ونُوقش هذا الاستدلال بما يلي :

أن القول بأن (الدلائل اللفظية لا تفيد اليقين) ، ليس بمسلَّم على إطلاقه ، فقد اتفق العقلاء على كون كثير من الدلائل العقلية لا تبلغ رتبة القطع ، كما أن من الأدلة النقلية غير المتواترة ما قد يفيد اليقين إذا احتفت به بعض القرائن (الإيجي ، ١٤١٧هـ ٢٠٩/١ ، الرازي ١٤٠٠هـ ٥٧٥/١) وما بطلت مقدمته بطلت نتيجته ضرورةً .

قال الشهاب القرافي : " الألفاظ اللغوية قد تفيد القطع ، وإنكار ذلك قدح في قواطع الكتاب والسنة وهو بين كفر وبدعة " (القرافي ١٤١٦هـ ٢٥٩٥/٦) .

وقال الدكتور أحمد حجازي السقا تعليقاً على منع الفخر الرازي من التمسك بالدلائل اللفظية في المطالب اليقينية " المؤلف قد جانبه الصوابُ في هذا الحكم ، فإنه بقوله : (إن القرآن يفيد الظن ولذلك يجب الاعتماد على الأدلة العقلية) يهدم أصول الدين بالكلية " (الرازي ١٤٠٧هـ ١١٨/٩ ، هامش رقم ١) .

الدليل الثاني : أن العقل يقضي بوجوب تقديم القواطع العقلية على

الظواهر النقلية عند التعارض ، ووجه ذلك أن الجمع بين تصديقهما مُحال للزوم اجتماع النقيضين ، والجمع بين تكذيبهما محال للزوم الخلو عن النقيضين ، والقول بترجيه الظواهر النقلية على القوطع العقلية محال ، لأن النقل فرع على العقل ، فالقدح في الأصل لتصحيح الفرع يوجب القدح في الأصل والفرع معاً وهو باطل ، فلم يبق إلا الإقرار بمقتضى الدلائل العقلية القطعية وحمل الظواهر النقلية إما على التأويل ، وإما على تفويض علمها إلى الله سبحانه وتعالى " (الرازي ١٤١٥هـ ، ص : ١٣٠ ، الرازي ١٤٠٤هـ ، ص : ٤٨ بتصرف يسير) .

وقد أجاب ابن تيمية " عن هذا الدليل بقوله " إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل ؛ لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين ، ورفعهما رفع النقيضين .

وتقديم العقل ممتنع ، لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل ، ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل ؛ لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيئ من الأشياء ، فكان قديم العقل موجباً عدم تقديمه فلا يجوز تقديمه .

ثم أطال الكلام على هذا ابن تيمية " إن كان أحد الدليلين المتعارضين قطعيّاً دون الآخر فإنه يجب تقديمه باتفاق العقلاء ، سواء كان هو السمعي أو العقلي ؛ وذلك لأن الظن لا يرفع اليقين . وأما إن كانا جميعاً ظنيين فإنه يُصار إلى طلب ترجيح أحدهما ، فأيهما ترجّح كان هو المقدم سواء كان سمعيّاً أو عقليّاً ، منبهاً إلى أنه إذا قدر أن العقلي هو القطعي كان تقديمه لكونه قطعيّاً لا لكونه عقليّاً " (انظر : ابن تيمية ١٤١٧هـ ١/٧٨ — ٧٩ بتصرف) .

وهكذا عارض ابن تيمية منطق العقليين بذات السلاح الذي استخدموه ، وهو العقل ، فكانت ردوده عليهم متشعبةً ؛ إلا أنه يبدو أن ابن تيمية يريد أن يؤكد بأن الأدلة العقلية الصحيحة وكذا العلوم الفطرية الضرورية ، كلها توافق ما جاء به الخطاب الديني ؛ حيث المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط ، وكذا هو العكس ، أي أن العقل الصريح لا يخالفه النقل القطعي .

الطب النبوي : بين العلم والدين : دراسة تحليلية معاصرة

(الحلقة الأولى)

بقلم : الأستاذ محمد رضي الإسلام الندوي *

تعريب : الأخ ريحان بيغ الندوي ♣

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء والمرسلين ، الذين بعثهم الله تعالى إلى البشرية لهداية الناس وتبليغ رسالته السمحة . وقد أدى عليه الصلاة والسلام رسالته على أكمل وجه ، فدعا إلى التوحيد وحذّر من الكفر والشرك ، وطهّر النفوس من الرذائل ، وزيّنها بالفضائل . كما علّم الأمة كيف تعيش حياتها وفقاً لما يرضي الله ويحقق لها السعادة في الدنيا والآخرة . ومن بين ما علّمنا صلى الله عليه وسلم هو أن الصحة نعمة عظيمة من نعم الله على الإنسان ، يجب الحفاظ عليها وتعزيزها . وقد أرشد إلى الأسس الصحيحة التي تُسهم في الوقاية من الأمراض ، مبيناً الأطعمة التي تعود بالنفع على الجسم والأشياء التي تضر به . كما بيّن صلى الله عليه وسلم طرق العلاج السليمة إذا أصيب الإنسان بمرض ، وحذر من الطرق غير السليمة . وقد اختار صلى الله عليه وسلم العلاج المناسب عند إصابته بالمرض ، وكذلك فعل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، حيث كان صلى الله عليه وسلم يوجههم إلى العلاج الصحيح ، في بعض الأحيان بتوجيههم إلى الأطباء المتخصصين . وقد حرص الصحابة ومن بعدهم على نقل هذه الإرشادات النبوية المتعلقة بالصحة والمرض إلى الأجيال القادمة ، فحفظوها وأوصوا بها . وهذه النصائح النبوية في الطب تُعرف بـ " الطب النبوي " ، وهي مجموعة من الإرشادات الطبية التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم .

واقع الطب قبل البعثة النبوية :

لقد أولى الناس في كل العصور اهتماماً بالغاً بقضايا الصحة والمرض والعلاج ، فتوجهوا إلى جمع المعلومات الطبية ، والبحث فيها ، والتوارث لها عبر الأجيال . نتيجة لذلك انتشرت ممارسات الطب وطرق

* سكرتير لجنة إصلاح المجتمع بالجماعة الإسلامية ، الهند .

♣ طالب بدار العلوم لندوة العلماء .

العلاج المتنوعة في مختلف الحضارات والشعوب والبلدان . من بين هذه البلدان التي يُذكر منها على سبيل المثال مصر وبلاد الرافدين والصين واليونان والروم والهند .

وقبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت هناك مدرستان طبية مشهورتان ؛ الأولى مدرسة الإسكندرية في مصر في زمن الدولة الرومانية ، حيث كان الأطباء اليونانيون يدرسون وفقاً لأفكار أبقراط وجالينوس . أما الثانية ، فكانت مدرسة جنديسابور الطبية ، التي كانت تركز على دراسة الطب من الجوانب الفنية والمهنية . ورغم تقدم هذه المدارس الطبية ، كانت البلدان الإفريقية والآسيوية تحت سيطرة الروم في القرن السادس الميلادي بعيدة عن تلك الممارسات الطبية المتطورة ، وكان الناس هناك لا يميلون إلى اللجوء للعلاج أو استخدام الأدوية لعلاج الأمراض . بل كانوا يعتقدون أن الجن والعفاريت هي التي تؤدي إلى الأمراض ، فيلجأون إلى السحرة والكهنة الذين كانوا يمارسون السحر والكهانة كمهنة . وقد ضرب وباء الملاريا المملكة الرومانية ، مما أدى إلى وفاة عدد كبير من الناس وفقدان صحتهم وعقولهم ، ومع ذلك لم يكن هناك اهتمام بالعلاج العلمي .

وفي الغرب لم يكن الحال مختلفاً عن باقي البلدان كالعراق والشام ومصر وغيرها من المناطق في ذلك العصر ، حيث كان السحر والتعاويذ والتمائم هي الوسائل السائدة للنجاة من الأمراض . أما العرب في العهد الجاهلي ، فلم يكن لديهم ممارسات طبية متطورة ، حيث كانوا بعيدين عن الحضارة ، ويعتمدون على سلوكيات بدائية . ولكنهم مع ذلك كانوا يسعون لاكتشاف طرق الوقاية والعلاج من الأمراض ، وكانوا يعتقدون أن الأمراض ناتجة عن تأثير الجن والعفاريت والأرواح الشريرة . وعند إصابتهم بالمرض ، كانوا يلجؤون إلى الكهنة الذين يعالجونهم باستخدام التعاويذ والتمائم والرقى . وكانت هناك علاقات تجارية وسياسية قائمة بين العرب والدول المجاورة مثل إيران والروم ، مما سهل انتقال بعض المعارف الطبية إليهم . وتذكر الروايات التاريخية أن في زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، كان هناك طبيب ماهر يُدعى حارث بن كلدة ، من بني ثقيف وأهل الطائف . وقد سافر إلى فارس ، حيث تعلم الطب في مدرسة جنديسابور ، ثم

عاد إلى الطائف لممارسة الطب . ولكن رغم ذلك ، كان الناس يميلون إلى العلاج بالرقى والتعاويذ والتمائم بدلاً من استخدام الأدوية .

أعظم مَنّ أسداها النبي صلى الله عليه وسلم :

لقد كانت من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى على البشرية في بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه حررهم من سيطرة الكهان والعرافين والمشعوذين ، وأخرجهم من ظلمات الكفر والخرافات والأوهام التي كانت سائدة في عصر الجاهلية . فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الرقى والتمائم والتولَة من مظاهر الشرك والخرافات ، حيث قال في حديثه الشريف : " إن الرقى والتمائم والتولَة شرك " [1] . كما أكد عليه الصلاة والسلام على أهمية التداوي لمن أصيب بالمرض ، فقد جاء الأعراب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : " يا رسول الله ، هل علينا جناح ألا نتداوى إذا أصبنا بمرض ؟ فأجابهم بقوله : تَدَاوَوْا عبادَ الله ، فإن الله سبحانه وتعالى لم يضع داء إلا وضع معه شفاءاً " [2] .

وكان صلى الله عليه وسلم يتداوى إذا أصيب بمرض ، وإذا مرض أحد من أصحابه ، كان يعودهم ويوجههم إلى العلاج المناسب ، وإذا كان المرض شديداً أو معقداً ، كان يوصي بالرجوع إلى الطبيب . ففي حالة مرض أبي بن كعب ، أرسل إليه صلى الله عليه وسلم طبيباً لعلاجه [3] . وكذلك حين مرض سعد بن أبي وقاص ، زاره النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين ثديه ، وقال له : " إنك رجل مفقود ، ائت الحادث ابن كلا أخا ثقيف ، فإنه رجل يتطبب " [4] ، وعندما أصيب رجل بجرح فاحتقن الجرح الدم وأن الرجل دعا رجلين من بني أنمار فنظرا إليه فزعما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما : أيكما أطب فقالا أو في الطب خير يا رسول الله فزعم زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنزل الدواء الذي أنزل الأدواء [5] .

---

[1] سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب في تعليق التمائم ، الحديث رقم ٣٨٨٣ ؛ ابن ماجه : الحديث رقم ٣٥٣٠ ؛ مسند أحمد : الحديث رقم ٣٦١٥ .

[2] سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب الرجل بتداوي ، الحديث رقم ٣٨٥٥ ؛ ترمذي : الحديث رقم ٢٠٣٨ .

[3] صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي ، الحديث رقم ٢٢٠٧ ؛ مسند أحمد : الحديث رقم ١٤٣٧٩ .

[4] سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب في تمر العجوة ، الحديث رقم ٣٨٧٥ .

[5] موطأ إمام مالك ، كتاب العين ، باب تعالج المريض ، الحديث رقم ١٧٢٢ .

وعن الرقية والدواء والوقاية ، سُئل صلى الله عليه وسلم ، فأجاب : " هي من قدر الله " . عن أبي خزامة عن أبيه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ! أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً قال : هي من قدر الله [1] . وقد حذر صلى الله عليه وسلم الأطباء من معالجتهم للأمراض التي يجهلون طرق علاجها ، وأوضح أن من يعالج في قوم دون أن يكون معروفاً وخبيراً بينهم بعلمه في الطب فهو ضامن . من تطبَّبَ ولم يُعلمْ منهُ طبٌّ فهو ضامِنٌ [2] .

وخلاصة القول أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تصدى لهذه الأوهام والخرافات ، وصحح المعتقدات الخاطئة ، ووضع أسساً علمية ثابتة في ميدان الطب ، تعتبر بمثابة حجر الزاوية لتطوير طب إنساني سليم . كانت هذه الخطوات بمثابة نقطة تحول جوهرية في مجال الطب ، كما ذكر الدكتور يوسف القرضاوي : " قاوم ما يسمى " بالطب الروحاني " واحترم الطب القائم على الملاحظة والتجربة والأسباب والمسببات ، وأبطل ما أشاعته الوثنية الجاهلية عند العرب وغيرهم حتى أهل الكتاب من اطراح الأسباب الظاهرة والسنن الكونية ، والاعتماد على الأسباب الخفية والقوى المجهولة من عزائم ورقى غير مفهومة ، وشعوذة يروجها السحرة والدجالون " [3] .

وليعلم بوضوح أنّ الطب النبوي ليس مجرد مجموعة محدودة من الأغذية أو الأدوية أو أساليب العلاج ، بل هو منهج ثوري قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ميدان الرعاية الصحية . إنه فكر يدعو إلى التحرر من الاتكال ، وحثٌّ على اتخاذ الأسباب ، وتوجيهٌ يؤكد ضرورة استخدام العلاجات النافعة بدلاً من التمسك بالخرافات والرقى . كما أنه دعوة جليّة إلى استكشاف مسارات جديدة في ميدان الطب ، والسعي إلى تطوير وسائل العلاج بما يحقق الفائدة للبشرية ويرفع من مستوى الرعاية الصحية .

---

[1] جامع الترمذي ، أبواب الطب ، باب ما جاء في الرقى والأدوية ، الحديث رقم ٢٠٦٥ ، ٢١٤٨ ؛ ابن ماجه : الحديث رقم ٦٨٦ .

[2] سنن أبي داود ، كتاب الديات ، باب في من تطبب بغير علم فأعنت ، الحديث رقم ٤٥٨٦ ؛ ابن ماجه : الحديث رقم ٣٤٦٦ .

[3] موسوعة الأعمال الكاملة للإمام يوسف القرضاوي ، الدار الشامية تركيا ، ٢٠٢٢م ، الجزء ٥٨ ، ص ٢٢١ – ٢٢٢ ؛ الجزء ٨٠ ، ص ١٢١ – ١٢٢ .

الطب النبوي : حافز قوي للاكتشافات الطبية :

أكد النبي صلى الله عليه وسلم على وجود علاج لكل مرض يصيب الإنسان ، فقال : " إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه وجهله من جهله " [١] ، وفي حديث آخر عن جابر رضي الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لكل داء دواء ، فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله " [٢] .

هذا التوجيه النبوي يحمل أبعاداً عميقةً في مجال الطب ، حيث يغرس الأمل في قلوب المرضى ، ويدعوهم إلى السعي للشفاء دون يأس أو إحباط . كما أنه يحث الأطباء والعلماء على الاستمرار في البحث العلمي والتجارب لاكتشاف العلاجات المناسبة للأمراض .

وقد أشار الإمام الشوكاني إلى أن هذا الحديث يدل على جواز التداوي ، حتى في الحالات التي يعترف الأطباء بعجزهم عن علاجها ، مما يؤكد أهمية المثابرة في البحث ، حيث يقول : " فيه دليل على أنه لا بأس بالتداوي لمن كان به داء قد اعترف الأطباء بأنه لا دواء له وأقروا بالعجز عنه " [٣] .

كما قال ابن القيم رحمه الله : " في قوله صلى الله عليه وسلم (لكل داء دواء) تقوية لنفس المريض والطبيب ، وحث على البحث عن هذا الدواء . فالمريض إذا أيقن بوجود علاج لدائه ، امتلأ قلبه بالأمل وانطفأت نار اليأس ، مما يعزز قوته النفسية والجسدية ، فتعمل قواه الطبيعية على مقاومة المرض والتغلب عليه . وكذلك الطبيب ، إذا أدرك أن لكل داء علاجاً ، اجتهد في البحث عنه واكتشافه " [٤] .

بعد ذكر الحديث الوارد ، قام الشيخ السيد جلال الدين العمري بتوضيح هذا الموضوع بشكل مفصل ، حيث قال : " يتبين من الحديث المذكور أن الأدوية تحمل تأثيراً عظيماً وفوائد كبيرةً في علاج كافة

---

[١] مسند أحمد ، مسند أسامة بن شريك : الحديث رقم ١٨٤٥٦ .

[٢] صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب لكل داء دواء ، الحديث رقم ٢٢٠٤ ؛ مسند أحمد : الحديث رقم ١٤٥٩٧ .

[٣] نيل الأوطار ، شرح منتقى الأخبار ، للشوكاني ، بيت الأفكار الدولية ، لبنان ، ٢٠٠٤م ، ص ١٣٦٣ – ١٢٦٤ .

[٤] ابن القيم ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي ، تخريج مصطفى بن سعيد آيتن ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ٢٠١٨/٤/٢٠م .

الأمراض . كما يطمئن المريض بأن الله تعالى قد جعل لكل داء دواءً . لذا يجب على الإنسان ألا يستسلم أو ييأس من مرضه ، مهما كانت شدته أو حجمه ، بل عليه أن يسعى بكل جدية لاكتشاف العلاج المناسب . وإذا كان الله قد جعل لكل مرض علاجاً ، فإن الشفاء سيحدث بإذن الله عندما يتم العثور على العلاج الصحيح . هذا يحفزنا على استمرار البحث والتطوير المستمر لاكتشاف العلاجات المناسبة . وإن كان الله قد خصص علاجاً لكل مرض ، فإن من مسؤوليتنا أن نواصل السعي لاكتشاف حلول لأمراض لا يزال العلاج لها مجهولاً " [1] .

لا شك أن هذا الإرشاد النبوي يُعد منطلقاً للتقدم العلمي في مجال الطب ، ودعوةً للاستمرار في البحث عن حلول مبتكرة للتحديات الصحية .

الطب النبوي ونشأته :

اهتم الصحابة الكرام رضي الله عنهم بتوثيق السنة النبوية اهتماماً بالغاً ، فكانوا يكتبون كل ما يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم أثناء حياته خشية نسيانه . وكان بعض الصحابة الذين يحسنون الكتابة يدونون ما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم في مخطوطات خاصة . ومع ذلك ، انقضى عصر الصحابة ولم يُدوَّن من السنة إلا القليل .

ثم جاء الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ، الذي أمر بجمع الأحاديث استجابةً للظروف التي اقتضت ذلك . ومع مرور الوقت ، ازدادت حركة جمع الأحاديث ، وبدأت في الازدهار حتى القرن الثالث الهجري ، حيث تم تدوين الكتب الستة التي اعتمدتها الأمة ، وهي التي ضمت جميع الأحاديث التي وصلتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مختلف المجالات .

بالنسبة للطب النبوي ، فقد كان جزءاً من السنة التي تناولت سُبل الوقاية والعلاج . على الرغم من أن الإمام مالك في " الموطأ " لم يُخصص باباً خاصاً للطب ، فإنه أورد أحاديث تتعلق بالعين ، والرقية ، والغسل من الحمى ، والطاعون ، وغيرها من المواضيع ذات الصلة في

[1] صحة ومرض وتعليمات إسلامية ، مولانا سيد جلال الدين عمري ، المركزية مكتبة إسلامية ناشرون ، نيودلهي ، ٢٠١٥م ، ص ٢٢٦ – ٢٢٧ .

كتابه " الجامع " ، والتي كانت جزءاً مما سُمِّي لاحقاً بـ " الطب النبوي " .

كما ألَّف الأئمة الكبار مثل البخاري وأبي داود كتباً تحت عنوان " كتاب الطب " والتي ضمت أحاديث عن الوقاية والعلاج . والإمام مسلم (٢٦١هـ) أدرج أحاديث الطب النبوي في " كتاب السلام " تحت باب خاص بعنوان " الطب والمرض والرقى " ، إضافةً إلى أبواب أخرى عن السم والسحر والتطير .

والإمام الترمذي أيضاً خصص كتاباً بعنوان " الطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " . ومع بداية القرن الرابع الهجري ، أصبح الطب النبوي علماً مستقلاً يُدرَس ضمن العلوم الشرعية ، وبدأت المصنفات في هذا المجال في التزايد [1] .

في هذه الحقبة ، تمت ترجمة كتب الطب الفارسية ، الإغريقية ، والسريانية إلى اللغة العربية ، مما ساعد في توسيع المعرفة الطبية . أضاف الأطباء المسلمون إسهامات علمية من خلال التجربة والملاحظة ، وصنفوا الطب النبوي في أبواب متعددة مثل حفظ الصحة ، وعلاج الأمراض ، والأدوية المفردة والمركبة ، مما جعل الطب النبوي علماً متكاملاً وذا تأثير عميق في الطب الإسلامي .

ومن أهم الكتب التي أُلِّفت في مراحل مختلفة في فن الطب النبوي :

١. الطب النبوي – أحمد بن محمد الدينوري (ابن السني)
٢. الطب النبوي – أبو عبيد محمد بن حسن الحراني
٣. الطب النبوي – أبو القاسم بن حبيب النيسابوري
٤. الطب النبوي – أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني
٥. الطب النبوي – أبو العباس جعفر بن معصر المستغفري
٦. الطب النبوي – أبو بكر الخطيب البغدادي
٧. الطب النبوي – أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحميدي

---

[1] على الرغم من أن بعض الكتب قد ذُكرت سابقاً ، مثل " الطب النبوي على رأي أهل البيت " لجابر بن حيان (م ١٤٨هـ) ، " الطب النبوي المعروف بالرسالة الذهبية " لأبي الحسن علي موسى الرضا (م ٢٠٣هـ) ، و " الطب النبوي " لعبد الملك بن حبيب الأندلسي (م ٢٣٨هـ) ، إلا أن هذه الكتب لا توجد اليوم ويُحتمل أنها ضاعت عبر الزمن .

٨. الطب النبوي – الحافظ عبد الخالق الأشبيلي
٩. الطب من الكتاب والسنة (الأربعون في الطب النبوي) – موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي
١٠. الطب النبوي – ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي
١١. الشفاء في الطب المسند عن السيد المصطفى – أحمد بن يوسف التّيفَاشِي
١٢. الطب النبوي – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح البَعْلِي
١٣. الأحكام النبوية في الصناعة الطبية – أبو الحسن علي بن عبد الكريم بن طرخان الحمدي
١٤. تذكرة في الطب النبوي – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي التركماني
١٥. الطب النبوي – أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية
١٦. الطب النبوي – أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي
١٧. السير القوى في الطب النبوي – محمد بن عبد الرحمن السخاوي
١٨. المنهج السوي والمنهج الروي في الطب النبوي – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
١٩. المواهب اللدنية (القسم الثاني في الطب النبوي) – أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني
٢٠. المنهل الروي في الطب النبوي – شمس الدين محمد بن أحمد بن طولوان الدمشقي [١]

هذه هي أهم الكتب التي تناولت طب النبي صلى الله عليه وسلم حتى القرن العاشر الهجري . علاوة على ذلك ، تم تأليف العديد من الكتب في العصر الحديث بمختلف اللغات مثل العربية ، الإنجليزية ، والأردية وغيرها . ولأغراض الاختصار ، لم يتم ذكر هذه الكتب الحديثة .

(للبحث صلة)

---

[١] ذكر الدكتور مصطفى خضر محقق " الطب النبوي " لابي نعيم الأصبهاني (دار ابن حزم ، بيروت ، ٢٠٠٦م) ٣٩ كتاباً تناولت الطب النبوي باللغة العربية .

القصيدة العينية لمتمم بن نويرة في رثاء أخيه : دراسة فنية

د . طلحة فرحان الندوي*

في أدب الرثاء العربي ، ترتقي بعض القصائد إلى مصاف الخلود ، حيث تحمل بين أبياتها مشاعر صادقةً وأحزاناً عميقةً تختزل تجربةً إنسانيةً قلما نجد لها نظيراً . ومن أبرز هذه الأعمال ، القصيدة العينية لمتمم بن نويرة ، التي أبدعها في رثاء أخيه مالك بن نويرة . جاءت هذه القصيدة لتكون شاهدةً على محبة خالصة وفقد أليم ، حيث يسطع فيها أسمى معاني الأخوة والوفاء ، ممزوجةً بحزن نبيل يتجلى في كل بيت .

متمم بن نويرة ، نسبه وصفاته :

هو شاعر مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام ، واسمه متمم بن نويرة بن عمرو بن شداد ، ينتمي إلى بني ثعلبة بن يربوع ، أحد بطون قبيلة بني تميم . كان متمم على الرغم من قصر قامته وإصابته بالعور ، فارساً شجاعاً يحظى بمكانة بارزة بين قومه [1] . ذات مرة وقع متمم في الجاهلية أسيراً في أيدي بني تغلب ، لكنه ظل شامخاً بفروسيته وشجاعته [2] .

إسلامه ودوره في الإسلام :

دخل متمم الإسلام مع قومه ، وحسن إسلامه . ثم عيَّنه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وأخاه مالكاً عاملين على جمع صدقات قومهما بني حنظلة . وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت بعض القبائل العربية ورفضت الانصياع للسلطة المركزية في المدينة ، وكان بنو حنظلة من بين هذه القبائل .

* أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية ، حيدرآباد .

[1] الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، حنا الفاخوري ، دار الجيل بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م ، ص ٤٣٢ .

[2] تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١م ، الجزء الأول ، ص ٣٠١ .

ما إن ظهرت هذه الفتنة حتى أرسل الخليفة أبو بكر الصديق جيوشاً لمحاربة المرتدين ، ووجه خالد بن الوليد إلى بني حنظلة . فقتل خالد عدداً كبيراً من بني حنظلة ، ومن بينهم مالك بن نويرة ، ثم أقدم على إحراق جثته في حادث أثار الجدل .

موقف متمم بعد مقتل أخيه :

طلب متمم بن نويرة من أبي بكر أن يثأر لأخيه من خالد بن الوليد بسبب مقتل أخيه ، لكن أبا بكر رفض الاستجابة لهذا الطلب . ثم كرر متمم محاولته في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إلا أن عمر لم يستجب أيضاً ، رغم استيائه من تصرف خالد بن الوليد .

عاش متمم مدة بعد وفاة عمر بن الخطاب ورثاه ، مما يدل على العلاقة التي ربطته بالخليفة الثاني . ويعتقد أن وفاته كانت حوالي سنة ٣٠هـ (٦٥٠م) [١] .

شاعريته ومكانته الأدبية :

اشتهر متمم بن نويرة بأنه شاعر فحل ، على الرغم من قلة إنتاجه الشعري . برع بشكل خاص في شعر الرثاء ، الذي خص به أخاه مالك بن نويرة . وكان شعره يتميز بصدق العاطفة وعمق الأسى ، مما جعله يصنف من أبرز شعراء الرثاء في التراث العربي .

خصائص الشعر العربي في عصر صدر الإسلام :

قبل أن نتناول قصيدة متمم بن نويرة العينية وأفكارها العامة وخصائصها الأدبية والفنية ، ينبغي لنا أن نلقي الضوء بالإيجاز على الخصائص العامة للشعر العربي في عصر صدر الإسلام ، الذي شهد تحولات كبيرة في الأسلوب والمعنى .

من حيث اللفظ والمعنى :

اختفى في الشعر الإسلامي العديد من الألفاظ والمعاني الجاهلية التي تتناقض مع تعاليم الإسلام ، خاصة تلك المعاني المتعلقة بالعصبية القبلية ، والغزل الفاحش ، والحديث عن الخمر . تحولت اللغة الشعرية في العصر الإسلامي نحو لغة أبسط وأقرب إلى الوعي الديني ، فابتعد الشعر

---

[١] الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، حنا الفاخوري ، دار الجيل بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م ، ص ٤٣٣ .

عن التعقيد والمبالغة ، ليقترب أكثر من روح الإسلام ، وينقل معاني سامية تتناسب مع المبادئ الدينية .

من حيث الأسلوب :

لم يكن أسلوب الشعر في العصر الإسلامي بنفس القوة والجزالة التي كان عليها في الشعر الجاهلي . فالشاعر في العصر الجاهلي كان يعبر بحرية تامة دون قيود ، بينما كان الشاعر في العصر الإسلامي مجبراً على الالتزام بتعاليم الدين في اختياره للكلمات والمعاني . وكان هناك تحول في التركيز على القيم الروحية والأخلاقية ، مما جعل الأسلوب أكثر اعتدالاً وبعداً عن التعقيد الذي كان سائداً في الجاهلية .

من حيث العاطفة :

كانت العاطفة في الشعر الإسلامي صادقةً وطبيعيةً ، بعيدةً عن التكلف والرياء . فالإسلام كان يحرص على أن تكون مشاعر الشاعر خالصةً وصافيةً ، بينما كان الشاعر الجاهلي أيضاً يتسم بالصدق في مشاعره ، وذلك بسبب طبيعته البدوية التي ترفض الكذب . لكن مع الإسلام ، كانت العاطفة أكثر انسجاماً مع التوجيهات الدينية التي تدعو إلى الإخلاص والصدق في التعبير .

من حيث الأغراض الشعرية :

ظهرت في الشعر الإسلامي أغراض جديدة لم تكن موجودةً في الشعر الجاهلي ، مثل شعر الجهاد الذي يمجد الشهادة ويدعو للتضحية في سبيل الله . كما برز شعر الدعوة الإسلامية الذي يسعى لنشر الإسلام وتعريف الناس بتعاليمه ومبادئه . إلى جانب هذه الأغراض ، استمرت الأغراض الشعرية التقليدية مثل المدح والرثاء ، لكن جميعها كانت ملتزمةً بالقيم والمبادئ الإسلامية ، وكانت ألفاظها ومعانيها تتوافق مع الشريعة الإسلامية .

مراثي متمم بن نويرة ومكانتها في الأدب العربي :

حظيت مراثي متمم بن نويرة بمكانة مميزة في الأدب العربي ، حيث أصبحت مثالاً يُحتذى به بين العرب . ووصلت أشعاره إلى أقاصي البلاد ، فحملها الركبان وحفظها الناس عن ظهر قلب ، بل واستشهدوا بها في مواقفهم المختلفة .

ومن القصص التي تبرز تأثير شعره ما ورد عن السيدة عائشة رضي

الله عنها ، عندما توفي أخوها عبد الرحمن بن أبي بكر . فلم تتمكن من حضور وفاته ، ولكنها زارت قبره بعد وفاته وأعربت عن حزنها الشديد قائلةً : " أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت ، ولشهدتك ما زرتك " [1] .

وفي لحظة الحزن هذه ، استعانت السيدة عائشة بشعرٍ متمم بن نويرة للتعبير عن مشاعرها ، متمثلةً ببيتيه الشهيرين ، مشيرةً بذلك إلى العلاقة الوثيقة التي جمعتها بأخيها عبد الرحمن [2] .

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

كان لرثاء متمم تأثير كبير في نفس الخليفة عمر بن الخطاب ، حيث كان يبعث في داخله ذكريات أخيه زيدٍ الذي استشهد في معركة اليمامة . وروي أنه كان يقول : " رحم الله زيداً ، هاجر قبلي ، واستشهد قبلي ، ما هبت الرياح من تلقاء اليمامة إلا أتتني برياه ، وما ذكرت قول متمم بن نويرة إلا ذكرته ، وهاج بي شجناً " [3] ، ثم قرأ نفس البيتين اللذين قرأتهما السيدة عائشة عند زيارتها قبر أخيها " وكنا كندماني . . . . لم نبت ليلة معا " [4] .

هذا الموقف يظهر أن شعر متمم لم يكن مجرد كلمات مرصوفة ، بل كان وسيلة تعبير حية عن مشاعر الفقد والحزن ، واستطاع أن يلامس القلوب ، ويعبر عن مشاعر الناس في أوقاتهم الحرجة . لقد أبدع متمم في تصوير الحزن والفقد بأسلوب مؤثر ، مما جعل مراثيه تخلد في الذاكرة العربية ، ويستعين بها العرب للتعبير عن آلامهم الخاصة .

كما نالت مراثي متمم بن نويرة في أخيه مالك استحساناً كبيراً من النقاد والرواة ، حيث تصدرت قائمة أفضل المراثي العربية وأروعها . ومن أبرز الشهادات التي تثبت مكانته ، قول ابن سلام : " والمقدم عندنا

---

[1] كتاب الأغاني ، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ، تحقيق : إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس ، دار صادر بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٨م، المجلد الخامس عشر ، ص ٢٠٩ .

[2] نفس المصدر ، ص ٢٠٩ .

[3] شرح شواهد المغني ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق وتعليق : أحمد ظافر كوجان ، لجنة التراث العربي ، سنة الطباعة غير مذكورة ، ص ٥٦٩ .

[4] نفس المصدر ، ص ٥٦٩ .

متمم بن نويرة "[1] ، مؤكداً أن مراثيه تجسد أرقى صور الحزن والفقد . أضاف ابن سلام أن متمماً أبدع وأجاد في تصوير أحزانه على أخيه مالك ، حيث قال في قصيدته العينية الشهيرة[2] :

لعمري وما دهري بتأبين هالك ولا جزع مما أصاب وأوجعا

وقيل : إنه حين أنشد متمم هذه القصيدة عند عمر بن الخطاب تأثر بها تأثراً عميقاً وأثنى عليها قائلاً : " هذا والله التأبين ، ووددت لو أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيداً بمثل ما رثيت به أخاك . فقال متمم : لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته . فقال عمر : ما عزاني أحد عن أخي بمثل ما عزاني به متمم "[3] .

وقد ذكر ابن حجر رواية تسلط الضوء على مدى إعجاب الشاعر الحطيئة بشعر متمم بن نويرة ورثائه المؤثر ، والتي تجسد أيضاً تأثير هذه المراثي على معاصريه . ففي هذه الرواية ، استفسر الخليفة عمر بن الخطاب من الحطيئة عن رأيه في شعر متمم ، فقال له : " هل رأيت أو سمعت بأبكى من هذا ؟ " مشيراً إلى التأثير العميق الذي تتركه مراثي متمم في النفوس . فأجاب الحطيئة بصدق وإعجاب قائلاً : " لا والله ، ما بكى بكاء عربي قط ، ولا يبكيه "[4] .

هذه الإجابة تعكس تقديراً كبيراً لشعر متمم ، إذ اعتبر الحطيئة أن بكاء متمم ، الذي تجسد في مراثيه ، يحمل صدقاً وعاطفة فريدة لا

---

[1] طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، المطبعة وعام الطباعة غير مذكورين ، السفر الأول ، ص ٢٠٤ . يريد ابن سلام أنه يقدم متمماً على أخيه مالك في الشعر ، وكلاهما شاعر .

[2] نفس المصدر ، ص ٢٠٩ .

[3] كتاب الأغاني ، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ، تحقيق : إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس ، دار صادر بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٨م، المجلد الخامس عشر ، ص ٢٠٩ والشعر والشعراء ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٨م ، الجزء الأول ، ص ٣٣٨ .

[4] الإصابة في تمييز الصحابة ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر علي العسقلاني ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٥٠هـ ، الجزء الخامس ، ص ٥٦٧ .

مثيل لها في الشعر العربي . فهو لم يكن مجرد شاعر يرثي أخاه ، بل كان ينقل حزنه وألمه بأسلوب عميق يصل إلى أعماق المستمع والقارئ ، مما جعل شعره أيقونةً في الرثاء وأبكى من يقرؤه أو يسمعه .

ينبع هذا الإعجاب العميق برثاء متمم من رهافة إحساسه وصفاء مشاعره ، والتي انعكست بوضوح في أشعاره . لقد كانت عاطفته الحزينة تنساب في أبياته ، فتحمل معها آلامه وأحزانه في صورة مؤثرة ، ما إن تستمع إليها الأذن حتى تخترق أعماق القلب ، فتوقظ فيه مشاعر الحزن وتثير دفين الأسى والشجن .

تميزت مراثي متمم برقة روحه وصدق عاطفته ، حيث تجلت أحزانه في صور شعرية مؤثرة تلامس القلوب وتثير مشاعر الحزن واللوعة . كان شعره وسيلةً لنقل مأساته الشخصية بأسلوب فني راقٍ ، مما جعله خالداً في ذاكرة الأدب العربي .

القصيدة العينية لمتمم بن نويرة في رثاء أخيه :

قد أطلق الأصمعي على هذه القصيدة لقب " أم المراثي " ، دلالةً على تفردها بين مراثي العرب ، على الرغم من أن الجاحظ لم يوافقه في هذا الرأي [1] . ومن جهته ، أشار أبو العباس المبرد إلى أن قصيدة متمم تعد من أبرز المراثي المختارة في الشعر العربي [2] . كما أثنى ابن الأثير على إبداع متمم قائلاً : " وأما متمم فلم يختلف في إسلامه ، كان شاعراً محسناً لم يقل أحد مثل شعره في المراثي التي رثى بها أخاه مالكاً " [3] .

نقدم فيما يلي ، نخبةً مختارةً من أبيات هذه القصيدة ، علها تنقل

---

[1] العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق : دكتور عبد المجيد الرحيني ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م ، الجزء الثالث ، ص ٢٢٠ – ٢٢١ .

[2] الكامل ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه : دكتور محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٨م ، المجلد الثالث ، ص ١٤٣٩ .

[3] أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ، قدم له وقرظه : الدكتور محمد عبد المنعم البري والدكتور عبد الفتاح السنة والدكتور جمعة طاهر النجار ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، سنة الطباعة غير مذكورة ، الجزء الخامس ، ص ٥٤ .

للقارئ شيئاً من صدق المشاعر التي حملها متمم وهو يرثي أخاه :

لعمري وما دهري بتأبين هالك ... ولا جزع مما أصاب فأوجعا
لقد كفن المنهال تحت ردائه ... فتى غير مبطان العشيات أروعا
ولا برما تهدي النساء لعرسه ... إذا القشع من حس الشتاء تقعقعا
لبيب أعان اللب منه سماحة ... خصيب إذا ما راكب الجدب أوضعا
تراه كصدر السيف يهتز للندى ... إذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا
وإن تلقه في الشرب لا تلق فاحشاً ... على الكأس ذا قاذورة متزبعا
وإن ضرس الغزو الرجال رأيته ... أخا الحرب صدقاً في اللقاء سميدعا
أبى الصبر آيات أراها وأنني ... أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا
وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
فإن تكن الأيام فرقن بيننا ... فقد بان محمودا أخي حين ودعا
سقى الله أرضا حلها قبر مالك ... ذهاب الغوادي المدجنات فأمرعا
تقول ابنة العمري مالك بعدما ... أراك حديثا ناعم البال أفرعا
فقلت لها طول الأسى إذ سألتني ... ولوعة حزن تترك الوجه أسفعا
وإني وإن هازلتني قد أصابني ... من البث ما يبكي الحزين المفجعا
قعيدك ألا تسمعيني ملامة ... ولا تنكئي قرح الفؤاد فييجعا
فلو أن ما ألقى يصيب متالعا ... أو الركن من سلمى إذا لتضعضعا
ألم تأت أخبار المحل سراتكم ... فيغضب منكم كل من كان موجعا
بمشمته إذ صادف الحتف مالكا ... ومشهده ما قد رأى ثم ضيعا
أآثرت هدما باليا وسوية ... وجئت بها تعدو بريدا مقزعا
فلا تفرحن يوماً بنفسك إنني ... أرى الموت وقاعا على من تشجعا
لعلك يوماً أن تلم ملمة ... عليك من اللائي يدعنك أجدعا
نعيت امرأ لو كان لحمك عنده ... لآواه مجموعاً له أو ممزعا
فلا يهنئ الواشين مقتل مالك ... فقد آب شانيه إيابا فودعا

هذه القصيدة تحتوي على واحد وخمسين بيتاً كما وردت في المفضليات [1] ، وتعد واحدةً من أبرز المراثي الخالدة في تراث الشعر العربي

[1] المفضليات ، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي ، تحقيق وشرح : أحمد

القديم . ليست هذه القصيدة مجرد تعبير عن الحزن ، بل تحمل في طياتها إرثاً شعرياً وإنسانياً كبيراً ، حيث شكلت الفاجعة التي دفعت متمماً إلى نظمها محوراً للجدل بين النقاد والرواة والفقهاء عبر التاريخ الإسلامي ، نظراً للظروف التي أحاطت بمقتل أخيه والملابسات المرتبطة بها .

عند التمعن في متن هذه العينية ، نجد أن متمماً عبر عن حزنه وألمه العميق من خلال إحصاء مناقب أخيه وخصاله النبيلة بأسلوب شعري يحمل ملامح الصدق والحرقة . اختار الشاعر وزن الطويل ، وهو من الأوزان التي تميز بها الشعر العربي القديم ، لما يمتاز به من سعة ومرونة تساعد على التعبير عن المشاعر المتدفقة . هذا الاختيار جاء انعكاساً لحالته النفسية المضطربة والمليئة بالتوجع والأسى .

إن عينية متمم لا تقتصر على كونها مرثيةً عاديةً فحسب ، بل تتجاوز ذلك لتكون وثيقةً أدبيةً وشهادةً على عمق الروابط الإنسانية والتجارب النفسية التي عاشها الشاعر . تحمل القصيدة معاني الفقد واللوعة في أبيات جمعت بين قوة اللفظ وصدق العاطفة ، مما جعلها تنفذ إلى القلوب وتبقى حاضرةً في ذاكرة الأدب العربي .

الأفكار العامة في نص القصيدة العينية :

- يركز الشاعر في بداية قصيدته على إظهار مناقب أخيه مالك وصفاته ، مبرزاً أهم خصاله النبيلة ، وهي الكرم والشجاعة . ويسرد مآثره بطريقة تظهر اعتزاز الشاعر به ، مستحضراً مواقف وأحداث تؤكد عظمة شخصيته ، مما يخلق صورة مثالية للأخ الذي يعد نموذجاً يحتذى به في المجتمع .
- ثم يعبر الشاعر عن حزنه العميق على فقدان أخيه ، ويخص القبر والأرض التي تحتضنه بالدعاء ، طالباً لهما الخير والبركة . كما يسترجع ذكرياتهما المشتركة ، متوقفاً عند اللحظات الجميلة التي جمعتهما ، مما يزيد من وقع الفقدان وألمه .
- ثم ينتقل الشاعر إلى ذكر المصاب الذي يواجهه ويتوجه باللوم لزوجته التي عاتبته على حزنه المفرط ، ويشبه حاله بالنوق التي فقدت

محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة السادسة، سنة الطباعة غير مذكورة ، ص ٢٦٥ – ٢٧٠ .

صغارها ، مما يعكس شدة اللوعة والأسى . وسط هذا الحزن ، يظهر الشاعر كبرياءه واعتزازه بانتمائه لقومه ، الذين يرون الصبر والقوة في مواجهة المصائب من شيم العظماء .

- يخص الشاعر في نهاية القصيدة بالحديث عن الشامتين بمقتل أخيه ، وفي مقدمتهم المحل بن قدامة بن أسود بن أوس بن يربوع [1] . يعبر الشاعر عن استيائه من مواقفهم ، مظهراً وفاءه وولاءه لأخيه حتى بعد وفاته ، ومؤكداً على ازدرائه لهؤلاء الذين يفرحون بمآسي الآخرين .

الدراسة الفنية للقصيدة :

بعد إلقاء النظر على آراء النقاد والأدباء للقصيدة العينية ودراسة الأفكار العامة التي وردت فيها ننتقل إلى تحليل الجوانب الفنية للقصيدة ، وذلك للكشف عن مكامن الجمال والإبداع فيها ، بدءاً بعاطفة الشاعر ، التي تعد المحرك الأساسي لها .

العاطفة في المرثية :

أ. الصدق العاطفي وسلامة الإحساس : جاءت عاطفة متمم صادقة للغاية ، حيث تعكس مدى حبه العميق لأخيه مالك وحزنه الشديد على فقدانه . كانت هذه العاطفة سوية ومألوفة ، خالية من أي مبالغة أو شذوذ ، مما جعلها تنبض بالواقعية والصدق . فهي عاطفة أخوية صافية تظهر رابطاً قوياً بين الشاعر وأخيه ، وتبرز ألم الفقدان وشعور الفراق الذي اجتاح قلبه .

ب. العاطفة الفردية مقابل العاطفة الإسلامية : تميزت عاطفة الشاعر في المرثية بأنها ذات طابع فردي ؛ فقد كانت موجهة بشكل كامل نحو أخيه مالك ، دون أن تمتد لتشمل المجتمع الإسلامي أو تعبر عن مبادئه العامة . انحصر شعور الحزن في نطاق العلاقة الأخوية والعشائرية ، مما يشير إلى غلبة الروابط القبلية على الروح الإسلامية في هذه القصيدة ، فيمكن لنا تحليل بعد العاطفة في النقاط التالية :

- تفوق العاطفة القبلية : تغلبت عاطفة الأخوة الصادقة على الشاعر ، مما أدى إلى إقصاء البعد الإسلامي الذي يدعو إلى تعميم مشاعر

[1] كان رجلاً من بني يربوع قد مر بمالك مقتولاً فلم يواره وكأنه به شامت .

التآزر والتضامن لتشمل المجتمع بأسره .

- الصدق الشخصي : هذا التركيز على الفردية في العاطفة يجعل النص حميمياً وعميق التأثير ، لكنه في الوقت ذاته يظهر محدودية تأثير العقيدة الإسلامية في صقل وجدان الشاعر حين نظم هذه القصيدة .

أسلوب الشاعر في مرثيته :

يظهر أسلوب متمم بن نويرة في مرثيته لأخيه مالك خصائص فنيةً متميزةً ، وتبرز براعة الشاعر وتمكنه من اللغة العربية وأساليبها . فيمكن تقسيم خصائص أسلوبه إلى النقاط التالية :

- القوة والمتانة والصلابة : تمتاز قصيدة متمم بالقوة والصلابة ، حيث إن الأسلوب نفسه يعكس حالة الشاعر النفسية والشعورية التي كانت مشبعة بالحزن العميق لفقدان أخيه . لقد كانت الكلمات التي اختارها الشاعر متينةً ، متشابكةً مع معانيها ، مما جعل القصيدة شديدة التأثير . هذه القوة نابعة من الطبيعة الجافة والصلبة للبيئة الجاهلية البدوية التي نشأ فيها ، والتي انعكست على أسلوبه الأدبي ، فكانت قصيدته متراصةً وغير متكلفة ، تنساب بسلاسة وتوتر في آن واحد .
- الفصاحة والقوة اللغوية : اعتمد الشاعر على لغة عربية فصيحة خالية من أي ضعف أو ركاكة ، وهو ما يعد من سمات الشاعر المتمكن من أدواته . يعكس استخدامه للألفاظ القوية شدة الكارثة التي حلت عليه وعمق المصيبة التي عاناها . هذه القوة اللغوية ليست مجرد تراكيب بديعة ، بل هي أيضاً وسيلة لتوصيل شعور الشاعر بالهول والمفاجأة التي فاجأت قلبه . فألفاظه التي اختارها تجعل القارئ يشعر بمقدار الحزن والألم العميق ، ويخلق جواً عاماً من الفاجعة .
- الابتعاد عن المحسنات البديعية المبالغة : كان أسلوب متمم في القصيدة بعيداً عن المبالغة في استخدام المحسنات البديعية التي قد تشوه المعنى أو تشتت الانتباه عن الرسالة المركزية للنص . جاءت محسناته البديعية بشكل عفوي وغير متكلف ، مما جعل القصيدة طبيعيةً في تدفقها ، وهذا يدل على براعة الشاعر وقدرته على استخدام الأدوات البلاغية دون افتعال أو تعقيد . كما أنه تجنب الأساليب المعقدة مثل التقديم والتأخير أو الجمل المعترضة التي قد

تؤثر على الفصاحة والبلاغة . من هنا ، نرى أن الشاعر كان يولي أهمية كبيرة للوضوح والصدق في التعبير ، ويبتعد عن الزخرف اللفظي الذي قد يشتت الفكرة .

الخيال في القصيدة :

وأبرز ما يتميز به قصيدة متمم بن نويرة هو أسلوبه وخياله الشعري. فقد أظهر خياله تألقاً وابتكاراً ،وكان متنوعاً ومحلقاً في تصوير المشاهد والمعاني. لعبت البيئة الجاهلية البدوية دوراً كبيراً في تشكيل هذا الخيال، حيث استمد متمم معظم صوره الشعرية من مظاهر الحياة البدوية التي عاشها. استخدم الشاعر رموزاً وصوراً مألوفة لأبناء البيئة الصحراوية التي تميز تلك البيئة .

على الرغم من أنه عاش في العصر الإسلامي ، إلا أن قصيدته لم تظهر تأثراً واضحاً بالبيئة الإسلامية ، بل جاءت متمسكة بجماليات الشعر الجاهلي وصفائه . لذلك يمكن وصف خيال متمم بأنه بدوي أصيل ، بسيط وسهل الفهم ، خال من التعقيد أو التكلف . هذا الخيال كان قادراً على رسم صور حية ومعبرة تعكس معانيه العقلية ومشاعره الداخلية بوضوح .

تأثير الخيال على القارئ :

نجح متمم في استخدام خياله بشكل يجعل القارئ يتفاعل معه بشدة، فيشعر بعمق مصيبته ويعيش ألمه . كان للقارئ نصيب في استيعاب حجم الفاجعة التي تعرض لها متمم بعد مقتل أخيه ، مما يجعل القصيدة لا تقتصر على البوح الشخصي ، بل تتجاوز ذلك إلى إشراك المتلقي في المشاعر .

الموسيقى الشعرية :

أضافت الموسيقى الشعرية بعداً جمالياً آخر لخيال متمم ، حيث استثمر تفعيلات البحر الطويل بأفضل صورة ممكنة . واستطاعت الموسيقى أن تحمل أحاسيس الشاعر وتعبر عنها بدقة ، مما جعل القصيدة تنقل شوقه وحبه العميق لأخيه ، ووفاءه له ، إضافة إلى شعوره بالحقد والانتقام تجاه من تسببوا في مقتله . كما أظهرت الموسيقى اعتزاز متمم بصفات أخيه النبيلة وخصاله الكريمة .

جمع متمم في قصيدته بين خيال بدوي صادق وبسيط وبين موسيقى عذبة ومعبرة ، مما جعلها لوحة فنية متكاملة تعكس مشاعره وأفكاره بوضوح وتترك أثراً عميقاً في نفس القارئ .

رحلة " الفوز العظيم " للشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني : دراسة تحليلية

(الحلقة الثانية الأخيرة)

د . ثمامة فيصل *

وممن التقى بهم الشيخ الشرواني في المدينة إمامُ الحرم المدني الشيخ حسن الشاعر المُقري [1] ، فقرأ عليه سورة الفاتحة وتلقى منه الإجازة ، فيقول عن هذا اللقاء : وبعد هذه السعادة (يقصد بها زيارة الروضة) رجعت إلى سكني ، فشرفني الشيخ حسن الشاعر المقري بقدومه الميمون هناك ، وبعد تناول الفطور حضرتُ معه المسجد النبوي ، وقرأت عليه سورة الفاتحة ، وتلقيت منه السند ، ودعا لي بالخير والبركة [2] .

وتحدث الشيخ في هذه الرحلة عن لقائه المفاجئ مع الشِيخ العمري الإمام بالمسجد النبوي الشريف [3] ، ووصف صفاتِه وأخلاقه ، فقال :

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية ، جامعة مولانا آزاد الأردية الوطنية – فرع لكناؤ، sumamaid@gmail.com

[1] هو حسن بن إبراهيم الشاعر ، ولد سنة ١٢٩١هـ في مصر في أسرة فاضلة وبيت علم وفضل . حفظ القرآن في التاسعة من عمره . والتحق بالجامع الأزهر وتلقى علومه وثقافته الدينية ، ودرس القراءات القرآنية وتعمق فيها ؛ حتى أصبح أحد قراء العالم الإسلامي البارزين ، ويتصل سنده في القراءة بالرسول عليه الصلاة والسلام . ولما قارب الأربعين من عمره قدم إلى المدينة مع أولاده ، وأصبح من أشهر قراء المسجد النبوي وأبرعهم ، ونُصِبَ شيخا لقرائه ، وكانت له فيه حلقات الدرس . ألف كتاباً بعنوان " تحفة الإخوان في بيان أحكام تجويد القرآن " . توفي في ٢٠ من شهر ذي القعدة سنة ١٤٠٠هـ . انظر : أعلام من أرض النبوة للشريف أنس بن يعقوب الكتبي الحسني ، ص ١٨١ – ١٨٧ ، وأئمة المسجد النبوي في العهد السعودي لعبد الله بن أحمد آل علاف الغامدي ، ص ٢٨٥ – ٢٩٢ .

[2] الفوز العظيم ، حبيب الرحمن خان الشرواني ، ص ٤٦ .

[3] هو الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر العمري ، ولد في مدينة عنيزة سنة ١٢٩٨هـ ، وكان جده قاضياً في القصيم . طلب العلم من كبار علماء عنيزة وبريدة والرياض ثم جلس للتدريس في عنيزة بضع سنوات ؛ إلى أن عين قاضياً في المدينة المنورة وإماماً في المسجد النبوي ورئيساً للشؤون الدينية هناك سنة ١٣٤٥هـ . توفي سنة ١٣٧٥هـ في مدينة الهفوف بالأحساء . انظر : أئمة المسجد النبوي في العهد السعودي لعبد الله بن أحمد آل علاف الغامدي ، ص ١٩٤ – ٢٠٠ .

الشيخ العمري عالم يرتدي ملابس الفقراء ، ولا يَعرف أيَّ تكلف أو تصنع ، وكان قد مدحه أمامي السيد سليمان الندوي في المدينة ، ولما عَبَّرتُ عن رغبتي في لقائه ، قال لي الشيخ الندوي : إنه قليل اللقاء مع الآخرين ، فلزمتُ الصمتَ ، والتقيتُ بالشيخ ذات يوم صدفةً ، فوجدته في لباس الفقراء ، وفي حلية الدراويش مع استغناءِ أولياء الله . ووجدته نموذجاً لأخلاق السلف الصالحين . فأنِسَ بي الشيخُ في اللقاء الأول حتى تكرر اللقاء بيننا ، وشرفني بالزيارة في سكني أيضاً . وكان واسع المعرفة ، حاضر المعلومة ، وكان محباً للمطالعة حتى هذا اليوم ، وله معرفة واسعة بالكتب ، وزوَّدني بنصائح قيمة حول شراء الكتب ، ومدح الشيخُ الخربوتيُّ [1] أيضاً حُبَّه الشديد للمطالعة [2] .

وأما الشيخ الخربوطي هذا فعرَّفه لنا الشيخ الشرواني بنفسه حيث قال : الخربوتي نسبة إلى بلدة خربوت بكردستان ، والشيخ إبراهيم الخربوتي هو أمين مكتبة شيخ الإسلام ، وهو رجل متحضر ووقور ورصين ، وهو بارع في مهنته ، ويُعنَى بصيانة الكتب ببالغ الشفقة والاهتمام كأنها أولاده ، وله باع طويل في هذا المجال ، وحصلتُ منه على نسخة من كتاب التقصي للإمام ابن عبد البر [3] .

وأشار الشيخ إلى أنه في الرابع من صفر سنة ١٣٢٧هـ تشرف بالضيافة عند علَمَين من أعلام المدينة المنورة ، أحدهما رجل من الأشراف لم يذكر الشيخ اسمه ، فالتقى به عند بئر الفرس التي كانت تقع في حديقته . والثاني الشيخ علي شحاد الذي التقى به عند بئر العهن التي كانت تقع داخل حديقة

---

[1] كتبه الشيخ بالتاء ، ولعل الصحيح بالطاء نسبة إلى مدينة خربوط الواقعة في تركيا حالياً .

[2] الفوز العظيم ، حبيب الرحمن خان الشرواني ، ص ٥٠ .

[3] المصدر السابق ، ص ٥١ . كَتَبَ عن هذه المكتبة وعن الشيخ الخربوطي المستعربُ البريطاني هاري سانت جون فيلبي (Harry St John Bridger Philby) المتوفى سنة ١٩٦٠م ، الذي أيضاً يُعرف بالشيخ عبد الله ، في رحلته " حاج في الجزيرة العربية " : وهذه المكتبة التي أهم ما يميزها حجرة للقراءة ، دائرية ، غاية في الروعة ، بها تلك الكتب النادرة مكومة في أكوام ، لا قائمة في أرفف ، لها أمين ، عالم كبير السن، ذو جاذبية ، اسمه الشيخ إبراهيم بن أحمد حمدي زادة الخربوطي ، من أصل أناظولي ، كان جده قد استقر هنا في ١٢٥٥هـ الموافق ١٨٣٩م . وعرض علي بعض كنوزه . انظر : حاج في الجزيرة العربية ، تعريب أ . د . عبد القادر محمود عبد الله ، ص ٨٦ . والعنوان الكامل لكتاب التقصي هو : التقصي لما في المؤطا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم

الشيخ . ويبدو أن الشيخ الشرواني كان يريد زيارة هاتين البئرين ، فانتهز هذه الفرصة للقاء صاحبيهما أيضاً . فيقول عن لقائه بأولهما : تشرفت اليوم بضيافتين : إحداهما عند بئر الفرس التي تقع في حديقة رجل من الأشراف من سلالة الإمام حسين رضي اللّه عنه ، وتشرفت بلقائه أيضاً عند زيارتي للبئر ، وعاملني بأخلاقه الكريمة ، واستضافني بالقهوة والرُّطَب ، وكان من سلالة سيدنا حسين رضي اللّه عنه . ولما ذكر الشيخ علي الكابلي هذه النسبة المباركة وقتذاك ، قال الشريف مشيراً إلى ابنته الصغيرة (التي كانت جالسة بقربه آنذاك) : إن النسب موجود بالتسلسل من سيدنا حسين إلى هذه الطفلة ، وأن شجرة النسب موجودة عند أخي الكبير في المدينة ، ويمكن أن تراها بنفسك هناك . ورأيتُ في عينَي ذلك الشريف الطاهرتَين تجليا من الطهارة والنقاوة ، وكأنه منظر من العالم العُلوِي [1] .

ويكتب الشيخ عن ضيافته الثانية في اليوم نفسه في بيت الشيخ شحاد : وكانت ضيافتي الثانية عند بئر العهن المعروفة في حديقة الشيخ علي شحاد ، وهذا الشيخ الشاب ينتمي إلى الحجاز ، وكانت له جولات وصولات عقب انحطاط الأتراك ، ولكنهم مضطرون الآن ، وأخبرني أن البدو رفضوا مساندته بسبب طمعهم في الذهب ، وإلا لم يستطع الملك عبد العزيز الاستيلاء على المدينة على أي حال . دخلنا في الحديقة كالغرباء ، وبدأنا نتناول الفطور جالسين عند بئر العهن ، وكان معنا الشيخ علي الكابلي زوج أخت زوجة الشيخ شحاد ، فعَرَفَه الخَدَمُ وأخبروا سيدَهم ، فأرسل بعضَ الخدم ودعاه إليه على الفور . وكان بيته في مكان مفتوح رائع وسط الحديقة . وكان مزداناً بالسجادات والأسلحة ، فأفطرنا هناك ، وكنا نأكل مما كان عندنا من الفطور ، فعبر الشيخ عن أسفه على ذلك ، لأن الطعام لم يكن جاهزاً آنذاك في بيته بسبب ضيق الوقت [2] .

وهناك شخصيات أخرى أشار الشيخ إليها في هذه الرحلة إشارةً سريعةً أو اكتفى بذكر أسمائها فقط ، فنترك ذكرها ونتطرق إلى جوانب أخرى تتضمنها هذه الرحلة . فقد تحدث الشيخ في مذكرات رحلته عن اهتمامه بمطالعة الكتب واقتنائه لها أثناء هذه الرحلة . ومن المعروف عنه أنه كان مولعاً بمطالعة الكتب وجمعها ، وكان قد أسس مكتبةً كبيرةً في

[1] الفوز العظيم ، حبيب الرحمن خان الشرواني ، ص ٤٠ .
[2] المصدر السابق ، ص ٤٠ .

بلدته حبيب غنج تميزت باحتوائها على مخطوطات ومطبوعات عربية وأردية نادرة . وتم ضم هذه المكتبة فيما بعد إلى مكتبة مولانا آزاد بجامعة علي كره الإسلامية . وكان للشيخ اهتمام بالغ بشراء الكتب لهذه المكتبة ، ويُذكر عنه أنه كان يدفع أفضل ثمن مقابل كل مخطوطة يشتريها . ولما خرج في هذا السفر ، اصطحب معه بعضَ الكتب ، وكان يقرؤها من حين إلى آخر . فيقول في موضع من هذه الرحلة : قضيت معظم أوقاتي (في طريقه إلى مكة) في قراءة مسائل الحج وحفظ الأدعية . فقرأت رسالة في مسائل الحج زودني بها لهذا السفر الشيخ السيد سليمان أشرف ، وجمعت منها بعض الأدعية وسجلتها في دفتر ، وكان معي في هذا السفر كتاب " تاريخ حرمين شريفين " [1] و " الإعلام " [2] و " رحلة خديو مصر عباس حلمي باشا " [3] ، ولكن لم ترغب نفسي في قراءة هذه الكتب ، إلا أنني واصلت قراءة " جذب القلوب إلى ديار المحبوب " للشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي ، مع أنني كنت قد أَجَّلتُ مطالعته إلى أيام إقامتي في المدينة [4] .

وحصل الشيخ على بعض الكتب من مكة والمدينة وجدة ، فيقول أثناء حديثه عن زيارته لإحدى أسواق المدينة : اشتريت مجموعة من الكتب وسلَّمتها إلى مكتبة حبيب غنج بعد أن كتبت عليها أنها اشتُرِيَت من المدينة . وكان من حسن حظي أن أهدَى إليَّ رجلٌ كتابين في علم الرجال في جدة كان قد اشتراهما في مكة . فذكريات إقامتي في هذه المدن الثلاث موجودة في مكتبة حبيب غنج اليوم [5] .

وانطلاقاً من حبه الصادق للكتب زار الشيخ المكتبات المعروفة في المدينة المنورة ، فزار مكتبة شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت ، ومكتبة السلطان محمود خان ومكتبة الشيخ أحمد البساطي ، ووصفها

---

[1] لعله يقصد به الترجمة الأردية لكتاب " الدين وتاريخ الحرمين الشريفين " للحاج عباس كرارة المصري ، والذي نقله إلى الأردية سيف الرحمن الفلاح بعنوان : تاريخ حرمين شريفين .

[2] الظاهر أنه يقصد به كتاب " الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بنزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر " للشيخ عبد الحي الحسني .

[3] يقصد به " الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا خديوي مصر " من تأليف الأديب المصري محمد لبيب البتنوني .

[4] الفوز العظيم ، حبيب الرحمن خان الشرواني ، ص ٩ .

[5] المصدر السابق ، ص ٤٨ – ٤٩ .

في رحلته . فيقول عن زيارته لمكتبة عارف حكمت : زرت مكتبة شيخ الإسلام يوم الاثنين في ٢٢ من محرم الحرام ، وأمين هذه المكتبة هو الشيخ إبراهيم الخربوتي ، وهذه المكتبة أروع نموذج للمكتبات الإسلامية ، فمبناها جميل وافر الضوء مفتوح الجوانب ، وأمينها خبير وشفوق وواسع المعرفة ، يهتم بالكتب كأنها أولاده ، وتُسَدَّد مصاريفها بإيرادات الأراضي الخصبة الرائعة من أوقاف القسطنطنية (وجبال سلانيك) ، وهذه الإيرادات ضخمة وتصل إليها كل سنة بانتظام . ولكن نظام المكتبة قد اختل في هذه الأيام ، وكان الشيخ الخربوتي يحسن إدارتها بآرائه الوجيهة وحسن تدبيره لشؤونها حتى الأيام الأخيرة . أولاً استضافونا بالفطور بغاية الاهتمام والوجاهة ، ثم رأينا الكتب التي كان يبلغ عددها كما يلي :

عدد المخطوطات ١٤٠٦٣
عدد المطبوعات ٢٧٣٢
عدد الكتب التي أضيفت إليها عن طريق الأوقاف ١٠٢٢
المجموع : ١٧٨١٧

أقام هذه المكتبة شيخُ الإسلام سيد أحمد عارف حكمت بك الحسيني في ١٢٧٠هـ في عهد السلطان المرحوم عبد المجيد خان . وتم شراء مبنى لها من الشيخ شاهين الذي كان قد ورثه نسلاً بعد نسل من الإمام حسن رضي الله عنه . وتبلغ مصاريفها السنوية ١٢٥٠ جنيه . ويوجد فيها جزء من تفسير ابن عباس كُتِبَ في ٣١٦هـ على قطعة من الجلد ، ولونه ضارب إلى الأصفر وخطه يشبه خط النسخ [١] .

ويتضح من هذه الملاحظات للشيخ أن المكتبة كان نظامها أحسن في السابق ثم تدهوَرَ ، ولكنه لم يذكر أسباب هذا التدهور رغم ثنائه على الشيخ الخربوتي الذي كان أمينها حين زارها . وقد تحدث الشيخ الشرواني عن لقائه مع الشيخ الخربوتي كما سبقت الإشارة إلى ذلك [٢] .

وأما المكتبة الثانية التي زارها الشيخ في المدينة Kوهي مكتبة السلطان المرحوم محمود خان ، فيقول عنها : وزرت يوم الخميس في ٢٥ محرم الحرام مكتبة السلطان المرحوم محمود خان التي كانت دون

[١] المصدر السابق ، ص ٣٣ – ٣٤ .
[٢] المصدر السابق ، ص ٥١ .

مكتبة شيخ الإسلام من حيث الترتيب والنظام . وتوجد فيها نسخة من المصحف الشريف نُسخت في ٤٣٨هـ ، وأما أقدم مصحف في المسجد النبوي ، فكان قد نُسخ في ٥٤٩هـ بخط أبي سعد محمد بن إسماعيل [١] .

وأشار الشيخ إلى أنه زار في اليوم نفسه مكتبة الشيخ أحمد البساطي أيضاً في المدينة ، ورأى فيها نسخةً من كتاب المدخل للإمام البيهقي ، وأشاد بالاهتمام البالغ بصيانة الكتب في هذه المكتبة [٢] .

ومثلما زار الشيخ هذه المكتبات ، لم تفته الفرصة لزيارة المدارس المعروفة في مكة والمدينة . فتحدث عنها في هذه الرحلة . فزار في مكة المدرسة الصولتية المعروفة كما زار مدرستين في المدينة المنورة . ومما لا يخفى على أحد أن المدرسة الصولتية تعد من أقدم المدارس النظامية التي أسست في الحجاز ، وكان قد أسسها العالم الهندي المعروف الشيخ رحمة الله الكِيرانْوِي [٣] صاحب كتاب " إظهار الحق " بالدعم المالي من قبل المرأة الهندية الصالحة صولت النساء بيغم . فيقول الشيخ الشرواني عن زيارته لهذه المدرسة : زرت المدرسة الصولتية في أحد الأيام ، وكانت فيها عطلةٌ آنذاك ، فرأيت مبناها ومكتبتها ، ومع أن مبناها لم يكن مكتملاً ، إلا أن معظم أجزائها كانت قد شُيِّدَت ، وكان تصميم مسجدها على طراز المساجد في شمال الهند ، ولا بد من التنويه باهتمام

---

[١] المصدر السابق ، ص ٣٦ .

[٢] المصدر السابق ، ص ٣٦ .

[٣] محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكِيرانوي ، ولد في غرة جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ الموافق ١٨١٨م في قرية كِيرانه بشمال الهند ، وكان من العلماء البارزين في الكلام والمناظرة . هاجر من الهند إلى الحجاز زمن استيلاء الإنجليز على الهند سنة ١٨٥٧م ، واستقر في مكة وأصبح مدرساً في الحرم المكي ، وجدد المناهج الدراسية المتبعة فيه ، وتخرج على يديه عدد كبير من العلماء ، وأنشأ مدرسة في مكة المكرمة، ولما قدمت صولت النساء بيغم من الهند سنة ١٢٨٩هـ وأرادت بناء رباط للحجاج بمالها ، اقترح عليها الشيخ بناء مدرسة بدل الرباط ، فتبرعت لبناء المدرسة في مكة ، وأسسها الشيخ في ١٥ من شعبان سنة ١٢٩٠هـ ، ونَسَبَ المدرسة إلى تلك المرأة الهندية الصالحة ، فسماها المدرسة الصولتية . ولما زارها الملك عبد العزيز آل سعود في ٢٨ جمادي الآخرة سنة ١٣٤٤هـ قال : إن الصولتية هي أزهر بلادي . انظر : المدرسة الصولتية بمكة المكرمة دراسة تاريخية وصفية لعبد العزيز سليمان الفقيه ، وانظر كذلك : الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المعروف بنزهة الخواطر لعبد الحي الحسني ، ج ٨ ، ص ١٢٢٨ . وقد ذكر الحسني اسم والده في ترجمته : خليل الله .

الشيخ محمد سعيد وإدارته لهذه المدرسة [1] .

وأما المدرستان اللتان زارهما الشيخ في المدينة ، فيقول عن زيارته لمدرسة عبد الباقي الفِرَنْكِي مَحَلِي [2] : زرت يوم السبت في ٢٧ من شهر محرم مدرسة الشيخ عبد الباقي الفرنكي محلي ، والتي يتم تمويلها من قبل حكومة حيدرآباد ، ونظام التعليم فيها في حالة جيدة ، واستضافنا الشيخ بالفطور ، ولهذه المدرسة خدمات جليلة في مجال التعليم في هذا العصر [3] .

وأما المدرسة الثانية التي زارها في المدينة فيقول عنها : زرت يوم الأحد في الخامس من شهر صفر مدرسة الشيخ السيد أحمد الفيض آبادي ، وهي مختصة بالتعليم الابتدائي ، ولها خدمات جليلة ، ويُعَلَّم فيها الطلاب بعضَ الصناعات أيضاً [4] .

وبعد وصول الشيخ إلى مكة ، عُقد فيها المؤتمر الإسلامي الأول بدعوة من الملك عبد العزيز آل سعود في ٢٥ ذي القعدة ١٣٤٤هـ ، وشارك فيها العلماء والأعيان من بلاد مختلفة ، ولكن الشيخ كان قد قرر عدم المشاركة فيه . فذكر أن الركاب في سفينته أثناء سفره إلى مكة كانوا يتحدثون عن هذا المؤتمر ، وأنه هو أيضاً سُئِل مراراً عن مشاركته فيه ، فأنكر رغبته في ذلك .

---

[1] الفوز العظيم ، حبيب الرحمن خان الشرواني ، ص ١٤ .

[2] هو الشيخ محمد عبد الباقي بن ملا علي بن ملا محمد معين الأنصاري اللكنوي الحنفي المدني ، ولد في ١٨ من شهر رجب سنة ١٢٨٦هـ بمدينة لكناؤ في أسرة معروفة بالعلم والفضل وكثرة المحدثين ، فجده ملا معين شرح كتاب " سلم الثبوت " وابن عمه الشيخ عبد الحي اللكنوي يعد من كبار العلماء والمؤلفين الهنود . سافر إلى الحجاز ثلاث مرات ، واستقر في المدينة في هجرته الثالثة في ١٣٢٢هـ ، وتصدر للتدريس في المسجد النبوي الشريف ، وفي حدود ١٣٢٤هـ أنشأ مدرسته في منزله بحوش فواز وأطلق عليها المدرسة النظامية ، وكان تُدرس فيها العلوم كلها . وبوفاته أغلقت المدرسة بعد أن تخرج فيها عدة أجيال من أهل المدينة المنورة والوافدين عليها من أنحاء العالم الإسلامي . صنف الشيخ أكثر من ثلاثين مصنفاً في المعقول والمنقول . وخلف مكتبة كبيرة تحتوي على كثير من الكتب المطبوعة والمخطوطات النادرة ، ويُذكر أن أحد أقربائه حمل مكتبته بعد وفاته إلى الهند . توفي في الرابع من ربيع الأول سنة ١٣٦٤هـ . انظر : أعلام من أرض النبوة للشريف أنس بن يعقوب الكتبي الحسني ، ص ٤٨٢ – ٤٨٨ ، والأعلام للزركلي ، ج ٨ ، ص ١٢٦٠ .

[3] الفوز العظيم ، حبيب الرحمن خان الشرواني ، ص ٣٧ .

[4] المصدر السابق ، ص ٤١ .

ولما وصل الشيخ إلى مكة نَشرت عنه جريدةُ أم القرى الصادرة من مكة أن مندوب حكومة حيدرآباد قد وصل إلى مكة بصفته قاضي قضاة حيدر آباد للمشاركة في المؤتمر . فيقول الشيخ : إنه أخبر السلطات الحكومية بعدم صحة هذا الخبر ، وأخبرها أنه ليس قاضي القضاة ولم يحضر كمندوب للحكومة ، وأنه لن يشارك في هذا المؤتمر ، وأنه قد حضر لأداء فريضة الحج فقط . وقال : لما سُئلتُ مراراً عن سبب عدم مشاركتي فيه ، قلت في ضوء تجربتي : إن مثل هذه المؤتمرات لا يُتَوَقَّع منها التوصلُ إلى نتائج عملية ، ولا تؤدي إلا إلى البحث والنقاش ، فلا أريد التضلع من أي نشاط آخر في هذا السفر بعد أن عقدت النية لأداء فريضة الحج خلاله [1] .

ولما وَجَّه إليه الملك عبد العزيز الدعوة للمشاركة في الحفلة الافتتاحية للمؤتمر لم يمانع الشيخ عن ذلك ، وشارك فيها ، دون أن يشارك في أي من جلساته التالية [2] .

وهناك جوانب وموضوعات أخرى تتخلل صفحات هذه الرحلة ، ولكنني أترك ذكرها خشيةَ الإطالة ، وأريد أن أختم هذه المقالة بما ذكره الشيخ من أخلاق أهل المدينة وصفاتهم ، فيكتب : إن الضيافة والحفاوة وطِيبة القلب ورقة الكلام وحلاوة اللغة والطهارة والنظافة من الصفات العامة لأهل المدينة المنورة [3] .

المصادر والمراجع :

١. أئمة المسجد النبوي في العهد السعودي ١٣٤٥ – ١٤٣٦هـ ، عبد الله بن أحمد آل علاف الغامدي ، دار الطرفين للنشر والتوزيع ، ١٤٣٢هـ .
٢. الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (الجزء السادس) ، خير الدين الزركلي ، ط ١٥ ، دار العلم للملايين ، ٢٠٠٢م .
٣. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بنزهة الخواطر وبهجة المسامع والمناظر ، عبد الحي الحسني ، ط ١ ، دار ابن حزم ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

[1] المصدر السابق ، ص ١٣ .
[2] المصدر السابق ، ص ١٤ .
[3] المصدر السابق ، ص ٥٢ .

٤. أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري ، عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي ، ط ١ ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .
٥. أعلام من أرض النبوة ، الشريف أنس بن يعقوب الكتبي الحسني ، ط ١ ، الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة بالمدينة المنورة ، ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م .
٦. بَزْمِ رَفْتَكانْ ، سيد صباح الدين عبد الرحمن ، دار المصنفين أعظم كره ، الهند ، ٢٠٠٧م .
٧. تاريخ أمراء المدينة المنورة ١هـ – ١٤١٧هـ ، عارف أحمد عبد الغني ، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق .
٨. حاج في الجزيرة العربية ، هاري سانت جون فيلبي ، تعريب : أ . د . عبد القادر محمود عبد الله ، ط ١ ، مكتبة العبيكان ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .
٩. سوانح مسيح الملك ، سيد محمد غياث الدين ، جامعة مفتاح العلوم ، جلال آباد ، مُظَفَّرْ نَغَرْ ، الهند ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .
١٠. شرواني نامه ، حاجي عباس خانْ شرواني ، شرواني بِرِنْتِنْكْ بريس ، علي كره ، الهند ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م .
١١. صَدَرْ يارْ جنك ، مولوي شمس تبريز خان ، مكتبة دار العلوم ندوة العلماء ، لكناؤ ، الهند ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
١٢. فصول من تاريخ المدينة المنورة ، علي حافظ ، ط ٣ ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .
١٣. الفوز العظيم ، حبيب الرحمن خان الشرواني ، معارف بريس ، أعظم كره ، الهند ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .
١٤. المدرسة الصولتية بمكة المكرمة دراسة تاريخية وصفية ، عبد العزيز سليمان الفقيه . بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير من قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
١٥. المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري ، أحمد سعيد ، ط ١ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

من علماء الإسلام الموسوعيين
أحمد بن قاسم البوني

الأستاذ الدكتور مرزوق العمري*

الموسوعية المعرفية خاصية من خصائص التكوين الإسلامي ؛ إذ أمر الإسلام معتنقيه بالتحصيل العلمي وعدم التفريط في ذلك مهما يكن ، فكان طلب العلم فريضة من فرائض الإسلام . واستشعاراً لهذه الفريضة الدينية سعى المسلمون من كل جيل من أجيالهم ، واجتهدوا في التحصيل العلمي حتى تميز الكثير منهم بالموسوعية ؛ إذ أوتي لهؤلاء الإلمام بمختلف علوم الشريعة على النحو الذي كان مع أبي حامد الغزالي والفخر الرازي وابن تيمية . . . في زمانهم ، وغير هؤلاء كثير . ومنهم من أضاف إلى علوم الشريعة علوماً أخرى كالطب والفلك والفلسفة ، فاتصفوا بالموسوعية المعرفية بشكل أكبر ، ومن هؤلاء أحمد بن قاسم البوني الذي برز في نهاية القرن الحادي عشر للهجرة . فمن هو أحمد بن قاسم البوني ؟ وما هي إسهاماته المعرفية ؟ وما مكانته بين علماء الإسلام ؟

(١) مولده ونشأته :

هو أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد ساسي [١] التميمي البوني ، وُلد ببونة [٢] سنة (١٠٦٣هـ/١٦٥٣م) ، وهو التاريخ الذي ذكره معظم مترجميه ، ومنهم أبو القاسم سعد الله [٣] نشأ في أسرة ميسورة الحال ، معروفة بالعلم والوجاهة ، ولها اهتمام بالتزكية ، فقد كانت عائلتُه

* كلية العلوم الإسلامية ، جامعة باتنة – ١ – الجزائر .

[١] وبذلك يتميز عن أحمد البوني صاحب شمس المعارف الكبرى ؛ فهذا ابن قاسم ، والآخر ابن علي .

[٢] بونة مدينة جزائرية ، وهي التي تعرف الآن بمدينة عنابة إحدى مدن الشرق الجزائري . وخلال العهد الاستعماري عرفت بـ : Bône . كما هي في اللغة الفرنسية .

[٣] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٩٨م ، ج ٢ ، ص ٦١ .

حسب ما ذكر البوني نفسه في كتابه : الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة تنتمي إلى مجموعة بشرية واسعة مُمتدّة غرباً إلى نواحي قسنطينة ، وشرقاً إلى نواحي الكاف وباجة من بلاد تونس ؛ حيث أخذ أحمد البوني العلم من هذه النواحي [1] وهو تميمي النسب [2] ، كما كان يضيف ذلك إلى اسمه في الكتب والمخطوطات التي خطها بيده . كما كانت أسرته ذات سمعة واشتهرت بعلاقاتها الحسنة مع الأتراك العثمانيين الذين كانوا حكاماً للجزائر في ذلك الوقت ، سواء الباشاوات في الجزائر العاصمة ، أو بايات الشرق الجزائري ، كما ساهمت هذه الأسرة مثل الكثير من الأسر العلمية الجزائرية في خدمة العلم ليس العلم الديني فقط ، بل حتى العلم الطبيعي مثل الطب ، وسنبين ذلك في ذكر تآليفه .

بدأ أحمد البوني تعليمه على يد والده قاسم بن محمد البوني الذي كان من علماء بونة المشهورين بالتقوى والصلاح ، درس في جامع بونة علوم الشريعة مثل : التفسير والحديث والفقه . . . وغيرها ، كما كان جدّه من مرابطي وعلماء القرن الحادي عشر في بونة ، وقد اشتهر بالفقه والتزكية حتى أصبح كما يقول معاصره عبد الكريم الفكون في منشور الهداية : " مسموع القول عند الخاصة والعامة " [3] . وقد ذكر البوني واعترف بأن جده هذا قد أثار بعض علماء زمانه ضده لمبالغته في التزكية واستعمال بعض الطرق غير السليمة لجلب المال ، وأضاف قائلاً عنه : " إن الفقه والتصوف قد غلبا على جدي حتى امتزجا فيه " [4] ،ثم ذكر أنه ترك بعض التآليف التي كانت في التصوف بالدرجة الأولى .

(٢) رحلته في طلب العلم :

اشتهر الشيخ أحمد البوني بكثرة الترحال طلباً للعلم ، وقد ساعده في ذلك وضع أسرته الميسورة الحال فقد انتقل إلى أهم العواصم

---

[1] أحمد البوني : التعريف ببونة بلد سيّدي أبي مروان الشريف ، منشورات المجلس الشعبي البلدي ،عنابة ، الجزائر ، ط ١ ، ٢٠٠٠م ، ص ٣٢ .

[2] مما يدل على أنه عربي النسب ، ومما يدل أيضاً على اهتمامه بالأنساب ، وهذا شأن أبناء الأسر العريقة في كل جيل من الأجيال .

[3] عبد الكريم الفكون : منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية ، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م ، ص ١٦٥ .

[4] المصدر نفسه ، ص ١٦٤ .

العلمية في ذلك الوقت مثل : تونس والمغرب ، ومصر ؛ حيث أخذ العلم عن الشيخ عبد الباقي الزرقاني [1] ، والشيخ يحيى الشاوي المليانيٍ [2] . . . وغيرهما ، كما سافر إلى الحجاز واستقر هناك فترة بعد أدائه فريضة الحج يتصل بشيوخ الحجاز والعلماء الذين يقصدون البقاع المقدسة من مختلف أقطار العالم الإسلامي ليأخذ منهم ، وقد دون رحلته الحجازية وعنونها بـ : الروضة الشهية في الرحلة الحجازية . وهذا ما يدل على علو همته العلمية وسعيه المتواصل في طلب العلم ، وهو جهد يعد بقريحة مبدعة وأفق علمي كبير . وبالفعل تأكد ذلك في مرحلة لاحقة بما تركه من تآليف كثيرة في مختلف المجالات المعرفية .

وبعد اجتهاده في التحصيل العلمي تيسر له الإلمام بمختلف علوم الشريعة ؛ ولذلك فهو يذكرنا بكبار علماء الإسلام الموسوعيين الذين اشتهروا في العصر العباسي . وعلى الرغم من الموسوعية العلمية التي اشتهر بها البوني إلا أنه كان يصنف من المحدثين لما كان له من ميل إلى هذا العلم من علوم الشريعة ، وقد ترجم له أبو القاسم سعد الله ضمن علماء الحديث في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي [3] ، كما ذكره الزركلي بأنه عالم بالحديث [4] ، ولعل كثرة احتكاكه بعلماء الحديث جعلته يهتم بهذا العلم بشكل متميز ، ومن ثم صنف بأنه من المحدثين . ولم يغفل الدكتور سعد الله عن اهتمامه بالفقه والإحسان ، بل علّق على ما قاله أحمد البوني عن جده حينما قال بأنه غلب عليه الفقه والتصوف علق عليه قائلاً : بأن ذلك يصدق عليه بشكل أكثر [5] ومن شيوخه في الحديث في الجزائر والده ، ويحيى الشاوي وأحمد العيدلي الزواوي الملقب

---

[1] هو أبو محمد عبد الباقي بن يوسف الزرقاني محقق وفقيه مصري ، كان من أبرز علماء المالكية في مصر في زمانه ، من آثاره شرح مختصر خليل ، توفي سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م . انظر الأعلام للزركلي ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ .

[2] هو يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى أبو زكريا الشاوي المليانى الجزائري متكلم وفقيه مالكي . ولد سنة ١٠٣٠هـ بمليانة ، وتوفي سنة ١٠٩٦هـ على متن قارب في مياه البحر الأحمر ، وهو متجه لأداء فريضة الحج ودفن بمصر ، من آثاره : توكيد العقد فيما أخذه الله علينا من العهد . انظر الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف ، سلسلة الأنيس للعلوم الإنسانية ، الجزائر ١٩٩١م ، ج ١ ، ص ٢٢١ وما بعدها .

[3] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج ٢ ، ص ٦١ .

[4] خير الدين الزركلي : الأعلام : دار العلم للملايين ، ط ١٦ ، ٢٠٠٥م ، ج ١ ، ص ١٩٩ .

[5] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

بالصديق ، وأبي مهدي عيسى الثعالبي ، وأبي القاسم بن مالك البراثني الزواوي أيضاً وبركات بن باديس القسنطيني وهؤلاء جميعاً من الجزائريين [1] ، كما ذكر غيرهم من التونسيين والمصريين والمغاربة مثل : اللقاني المالكي ، والخرشي المالكي أيضاً ، والزرقاني . . . وغيرهم [2] .

ومن صور اهتمامه بالحديث وعلومه التأليف في هذا العلم إضافة إلى المجالس التي كان يعقدها لرواية وشرح الصحاح الستة والموطأ ، كل ذلك دال على الاهتمام الكبير الذي كان يوليه للحديث الشريف رواية ودراية حتى لقب بالمحدّث والمسند والجمّاع والمطلع . . . وغيرها من الألقاب والأوصاف التي عرف بها . ومن صور اهتمامه بالحديث أيضاً منحه إجازات لطلبته من ذلك : إجازته لولده أحمد الزروق الذي خصه بالذكر في الدرة المصونة وأثنى عليه بأبيات منها :

بأحمد الزروق ولدي ... قوّى به الله الكريم خلدي
حوى فنوناً مع تقوى الله ... أحيى به سلفنا إلهي [3]

كما أجاز محمد بن علي الجعفري مفتي قسنطينة ، وهي الإجازة التي جمع فيها أكثر شيوخه كعادة المحدثين في إجازاتهم ، وهذه الإجازة كتبها في أخريات أيامه سنة ١١٣٦هـ ، وقد قال عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس والأثبات : " وقد وقفت على إجازة المترجم أحمد بن قاسم المذكور العامة لولده أحمد الملقب زروق ورفيقه محمد بن علي السعيدي الجعفري المعروف بمفتي قسنطينة ، وهي في نحو أربع كراريس اشتملت على فوائد وغرائب ، عدد فيها شيوخه وأسانيد الستة وبعض المصنفات المتداولة في العلوم [4] وذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أنه اطلع على نسخة من هذه الإجازة التي كتبت سنة ١١٤٠هـ ؛ أي : بعد وفاته بفترة قصيرة [5] .

---

[1] المرجع نفسه ، ص ٦٤ .

[2] تجدر الإشارة إلى أن أحمد البوني ذكر شيوخه من الجزائريين وغير الجزائريين في منظومته الدرة المصونة ، انظر الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة ، تقديم وتحقيق : أ . د سعد بوفلاتة ، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، ص ١٠٥ وما بعدها.

[3] أحمد البوني : الدرة المصونة ، ص ٧٩ .

[4] عبد الحي الكتاني : فهرس الفهارس ، اعتناء إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .

[5] انظر : أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج ٢ ، ص ٦٤ .

(٣) علاقته بعلماء وحكام عصره :

لقد أتاحت حياة الترحال هذه للبوني الاتصال بمشاهير عصره من العلماء والساسة على حد سواء ، فاشتهر بعلاقاته الواسعة ومراسلاته الكثيرة وتواصله مع علماء عصره ، ومن هؤلاء الشيوخ : شيخه بركات ابن باديس القسنطيني ، وتلامذته حسن بن سلامة الطيبي المصري ، وعبد الرحمن الجامعي ، وعبد القادر الراشدي القسنطيني . . . وغيرهم من الطلاب النجباء الذين أسهموا بنشاط علمي بارز ، ثم برزوا كمؤلفين في مختلف مجالات العلوم الإسلامية ، ويكفي ذكر ابنه المحدث المسند أحمد الزروق الذي أجاز مرتضى الزبيدي سنة ١١٧٩هـ ، وكذلك أبو زيد عبد الرحمن الجامعي الفاسي المغربي الذي نزل عنده وأخذ عنه وطلب منه الإجازة ، وترجم له في رحلته المسماة بـ "نظم الدرر المديحية في محاسن الدولة الحسينية " وفي " التاج المشرق الجامع ليواقيت المغرب والمشرق " ؛ حيث قال عنه : " لما دخلتها (يعني بونة) أممت دار الشيخ الرباني العالم العرفاني أبي العباس أحمد بن الولي الصالح البر الناجح أبي عبد الله قاسم بن الولي الصالح أبي عبد الله محمد المعروف ساسي ، فوجدته طلق المحيا ، وأنزلني بمنزل لإكرام أضيافه مهيأ ، فأقمت عنده ينزهني في كل يوم في رياض تآليفه الحديثة وغيرها ، وينثر علي كل ساعة من فرائد فوائده ما تبخل به على الغائصين قعور بحرها ، وكنت أحضر أثناء تلك المدة مجلس رواية الصحيحين بين يديه مع مشايخ بلده وولديه ومما رويت عنه فسح الله في أجله وأسهب ، وإن تآليفه بلغت ما ينيف على المائة ما بين مختصر ومسهب ، ولما وقفت في علم الحديث على البحر العباب والعجب العجاب سألته الإجازة فيما وقفت عليه وغيره من تصانيفه " [١] .

هذا عن العلماء ، أما عن الساسة والحكام فقد كانت تربطه بهم علاقات طيبة خاصة الباشوات والبايات العثمانيين ، ويتجلى ذلك من خلال محاولاتهم التقرب منه وطلب وده ، نظراً للمكانة العلمية والروحية التي كانت تتمتع بها الأسرة ، وما اكتسبه البوني من حب الناس واحترامهم له ، فتوددوا إليه وأرسلوا له الهدايا والعطايا ، وبذلك صار يصنف عند المؤرخين بأنه من أعلام بونة [٢] . ومما يجدر ذكره هنا أن

---

[١] عبد الرحمان الجامعي : نظم الدرر المديحية في محاسن الدولة الحسينية ، نقلاً عن عبد الحي الكتاني : فهرس الفهارس ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

[٢] المهدي البوعبدلي : لمحة من تاريخ بونة الثقافي والسياسي ودور بعض علمائها عبر التاريخ ، محاضرة قدمت في ملتقى الفكر الإسلامي المنعقد بعنابة سنة ١٩٧٦م ،

الباشا محمد بكداش [1] عندما كان موظفاً في حكومة الباشا السابق له حسين خوجة – وهذا الباشا حسين خوجة كان صديقاً للبوني ولوالده من قبله – قد نُفِيَ إلى مدينة بونة ، فحضر دروس الشيخ أبو القاسم البوني وتتلمذ له ، وقامت بينهما صداقة دامت حتى بعد تعيين محمد بكداش في أعلى هرم السلطة ، وتوليه حكم (باشوية) الجزائر . فكانت بينهما مراسلات وسفارات ، وحين استرد هذا الباشا مدينة وهران سنة ١١٢٠هـ ، بعد احتلالها من قبل الإسبان ، ذكر هذا الحدث أحمد البوني في درته حين قال : مهنِّئاً إياه فيها بفتح وهران :

وفتحت على يده وهـران فكمل المجد له والبرهان
أطال الله لنا أعوامـــه وسـدد الله لـنـا أقوامـه

ثم كاتبه بعد فتح وهران مهنئاً له بهذا الإنجاز ولافتاً انتباهه إلى حالة بلاده بونة مشيراً إليها بهذه القرية فقال :

أريـد أن أخـبركم أدام ربي نصركم
بحال هذه الـقـريـة بالصدق لا بالفريـة
قد صال فيها الظالم وهان فيـها العالـم
خـربت الـمساجـد وقل فيها الساجـد
حـبسـها قد أسـرفا ناظـره فأشـــرفا
وأهـمـــلت أسعارها وبـدلـت شـعـارها
والشرع فـيها باطل والظلم فيها هاطل
والخوف في سـبيـلها والقحط في سنبلها
وكـم مـن القبـائح وكم من الفضائح

إلى أن خاطبه قائلاً :

والله قـــد ولاكـم حكما وقد علاكم

طبعت ضمن أعمال الملتقى ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والتعليم الأصلي ، الجزائر ، ج ١ ، ص ٥٣ .

[1] هو محمد بن أبي الحسين نور الدين علي بن محمد النكيد نسبة إلى نكيدا من بلاد الترك ، وهو الذي حرَّر مدينة وهران الجزائرية من حكم الإسبان ، وكان ذلك يوم الجمعة ٢٦ شوال ١١١٩هـ الموافق ٢٠ جانفي ١٧٠٨م ، وهو أحد باشوات الجزائر أيام الدولة العثمانية ، قتل على يد دالي إبراهيم يوم السبت ٢١ محرم ١١٢٢هـ/ ٢٢ مارس ١٧١٠م . انظر : كتاب : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تأليف محمد بن ميمون الجزائري ، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم ، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط ٢ ، ص ٣٠ ، ٤٤ .

فـداركوا الإسلاما ونـــوّروا الـظـلاما

(٤) وفاتـه :

تـوفي أحمـد البـوني بعـد مـا جـاوز الـسبعين مـن العمـر سـنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م ، ودفن بمسقط رأسه مدينة عنابة – بونة – تاركاً وراءه إرثاً علمياً ثميناً ، هو من التركات العلمية الكبيرة في تاريخ الإسلام .

(٥) آثـاره :

عدّ أحمد البوني في نظر المؤرخين وعند المشتغلين بتراجم الأعلام عدّ من المكثرين في مجال الكتابة والتأليف ، وقد كتب عن نفسه في هذا المجال ، فله رسالة عنونها بـ : " التعريف بما للفقير من التآليف " ، عرف فيها بالكتب التي كتبها ، ومن الذين ذكروا تآليفه أبو القاسم الحفنـاوي بالاعتمـاد علـى كتابـه التعريـف الـسابق الـذكر [١] . ومـن المعاصرين الذين اهتموا بتراثه الدكتور أبو القاسم سعد الله الذي قال عنه : " فقد ألف أحمد البوني تآليف كثيرة بلغت كما أخبر بنفسه أكثر من مائة تأليف بدون المنظومات والمقطوعات " [٢] ، وهو ذات العدد الذي ذكره الزركلي في ترجمته له [٣] .

وفي الحقيقة ما وقفت عليه من تآليفه المختلفة يعني الكتب والمنظومات بلغت مائتين وثمانية أعمال ، وهو عدد كبير جداً ، فأشرت في بداية هذه الترجمة أنه يذكرنا بعلماء الإسلام الكبار الذين برزوا في القرون الأولى ، ومما يؤسف له أنه لم يحظ تراثه بالدراسة والتحقيق وهذا سر بقائه مجهولاً ، وقد تنوعت أعماله العلمية هذه فتوزعت على مختلف العلوم الإسلامية والعربية مثل : الفقه ، والعقيدة ، والنحو ، والتصوف ، والحديث ، والسيرة النبوية ، والتاريخ الإسلامي ، وحتى بعض العلوم الطبيعية مثل الطب . . . وغير ذلك .

فما يلاحظ على هذه التآليف إذا التنوع الموضوعي فقد توزعت على مختلف العلوم العربية والإسلامية ، ومن جهة ثانية توزعت على مختلف أنماط الكتابة ؛ فمنها الكتب ومنها الشروح والحواشي ، ومنها

---

[١] أبو القاسم الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، ١٩٩١م ، ج ٢ ، ص ٣٧٦ وما بعدها .

[٢] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

[٣] خير الدين الزركلي : الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط ١٦ (٢٠٠٥م) ، ج ١ ، ١٩٩ .

المنظومات ، وهو صاحب نفس طويل في نظم المنظومات مما يدل على أنه صاحب قريحة شعرية متميزة ، ومن الأمثلة على ذلك : نظم الخصائص الكبرى للسيوطي في نحو ثمان مائة بيت . ومن جهة ثالثة لوحظ على تلك الأعمال أنه منها ما أتمه في حياته ومنها ما لم يتمه ، وفي هذا يقول الدكتور سعد الله : " ومن هذه التآليف ما كمل ومنها مالم يكمل " [1] ومنها الشعر والنثر ، كما أن منها ما يدخل في باب الحديث والسنة وما يتناول غير ذلك " [2] . وعند تتبع أعماله من خلال ما ذكر مترجموه بالمقطوعات والمنظومات فقد وقفت على أكثر من مائتي عمل كلها مخطوطة باستثناء كتابين اثنين [3] ولكثرتها يتعذر ذكرها جميعاً ، ولذا سأذكر نماذج من كل علم من العلوم التي كتب فيها على النحو التالي :

ففي الفقه مثلاً كتب : فتح الإغلاق على وجوه مسائل مختصر خليل بن إسحاق . نظم مشتمل على سنده في الفقه . ونظم فصول مختصر خليل مماثلاً به نظم الأجهوري . ونظم فرائض المختصر لم يكمل .

وفي العقيدة كتب : نظم قواعد الإسلام ، وعقيدة صغيرة . ونظم عقيدة السنوسي السادسة وهي مجهولة عند الكثير من الناس ، وشرحها صاحبه العلامة سيدي عبد الرحمن الجامعي ، قيل : إن الشيخ السنوسي وضعها للنسوان والصبيان ، ونظم عقائد النسفي . ونظم شعب الإيمان ، ونظم عقيدة الرسالة لابن أبي زيد القيرواني . وشرح عقيدة الوالد ، لم يكتمل . ونظم صغرى السنوسي والياقوتتان الكبرى والصغرى في التوحيد ، ضاهى بهما جوهرة اللقاني وإضاءة الدجنة للمقري ، ونظم عقيدة سيّدي أبي مدين ، دفين تلمسان . وهي المنظومة التي بين أيدينا .

وفي السيرة النبوية كتب : نظم أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ذكرها صاحب الدلائل ، ونظم أسمائه أيضاً صلى الله عليه وسلم التي شرحها الرصاع ، ونظم السيرة المحمدية . وكتاب اللمحة البارقة السنية بذكر السيرة المحمدية ، على نمط تنبيه الأنام .

وفي الحديث كتب : نظم تراجم كتاب الشمائل للترمذي ، نظم

---

[1] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

[2] المرجع نفسه والصفحة .

[3] هما : الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة ، نشرته مؤسسة بونة للأبحاث والدراسات بعنابة – الجزائر – بتحقيق الدكتور سعد بوفلاتة ، سنة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، والثاني هو التعريف ببونة بلد سيّدي أبي مروان الشريف طبعته نفس المؤسسة في نفس السنة .

كتب البخاري . وإظهار بعض نفائس ادخاري المهيآت لختم البخاري ، والتحقيق في أصل التعليق ؛ أي الكائن في البخاري ، وفتح الباري بشرح غريب الإمام البخاري ، والإلهام والانتباه في رفع الإبهام والاشتباه ؛ أي الكائنين في البخاري .

وفي التصوف كتب : نظم أخلاق الصوفية التي حواها كتاب " تنبيه المغترين " للشعراني . وتعجيز التصدير وتصدير التعجيز للبردة ، وآخر قريب منه لم يكمل ، ونظم جامع لآداب الدعاء وشروطه وأركانه وأوقاته وغير ذلك . والفتح الموالي بشرح ألفاظ حزب النووي ، نظمه في حياة والده ، وبسببه مدحه بقصيدة شيخه العلامة الولي سيدي يوسف بن محمد فكيهات الأندلسي صاحب نظم الشذور . وكتاب روضة الأزهار ونفحة الأسحار في الصلاة على النبي المختار على نمط تنبيه الأنام . ومجموع في السماعين لم يكمل . وغبار نعال أهل الله تعالى . وحث الورّاد على حب الأوراد ، مشتملاً على ثمانية كتب هي : تلقيح الفكر بفضائل الذكر ، ابتهاج الأفكار بمسائل الأذكار . اليواقيت المنشورة في أسانيد الكتب المأثورة . رفع الاشتباه عن حديث الانتباه ، ملء المعى بأحكام الدعا . أنفع العطر بذكر الخضر . مرود الصفا في فضائل الصلاة على المصطفى . الكنز المختبي في الصلاة على النبي المجتبي .

وفي اللغة كتب : نظم الأجرومية في تسعين بيتاً ، وشرح عليه لم يكمل ، وصل فيه للنائب عن الفاعل ، وتحفة الأريب بأشرف غريب ، اختصر فيه غريب العزيزي للقرآن العظيم . ونظم القطر لابن هشام لم يكمل.

وفي الطب كتب : إعلام أرباب القريحة بالأدوية الصحيحة في الطب. ومختصر في الطب أيضاً لتذكرة داود . وإتحاف الألباء بأدوية الأطباء .

وفي الخطابة كتب : إتحاف النجباء بمواعظ الخطباء .

وفي السياسة كتب : نظم اشتمل على واقع مراد باي التونسي عسكر الجزائر ، وما جرى بينهما من الحروب .

وفي التراجم كتب : فتح المعين بذكر مشاهير النحاة واللغويين .

وفي الشعر له ديوان شعر لم يكتمل .

وفي الرحلات له الروضة الشهية في الرحلة الحجازية .

وفي التاريخ كتب : الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة .

هذه نماذج فقط من كل علم من العلوم التي كتب فيها ، وغير هذه التآليف الكثير ، لقد جاوزت تآليفه المئتين كما تمت الإشارة إلى ذلك .

الاستشراق : نشأته وأهدافه

الأستاذ هارون الرشيد الشيريفوري*

الاستشراق اللغوي فعله " شرق " ، يقال : " شرقت الشمس : طلعت ، وبابه نصر ينصر " ، وشرَّق (بتشديد الراء) : أخذ في ناحية المشرق ، والشرق : الشمس وجهة شروق الشمس ، وشجرة شرقية : تطلع عليها الشمس من شروقها إلى نصف النهار " .

وقرر " أن " كلمة : (استشرق) ومشتقاتها مولدة ، استعملها المحدثون من ترجمة كلمة Orientalism ، ثم استعملوا من الاسم فعلاً ، فقالوا : استشرق ، وليس في اللغات الأجنبية فعل مرادف للفعل العربي ، ولكن كلمتي " استشرق " و " مستشرق " قد ذاعتا وشاعتا شيوعاً كبيراً ، ويعد مصطلح " الاستشراق " وما يشتق منه نحو " مشرق " ؛ من التسميات الحديثة ، وإن كان مدلولها قديماً .

أما الاستشراق الاصطلاحي فقد وردت له تعريفات عدة ؛ منها : أنه " ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضارته وأديانه ، وآدابه ولغاته ، وثقافته ، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العلم الإسلامي معبراً عن الخلفية للصراع الحضاري بينهما " .

لقد استعمل مصطلح (Orientalist) للمرة الأولى في مستهل عام ١٧٦٦م ، حيث ورد في موسوعة لاتينية للتعريف بالأب " بولينوس " ، وطبقاً لبعض المؤلفين تعود بداية استعمال هذه المفردة في إنجلترا إلى العام ١٧٧٩م أو ١٧٨٠م . ومن ثم انتقل هذا المصطلح إلى اللغة الفرنسية عام ١٧٩٩م ، وظهر عام ١٨٣٨م في معجم الأكاديمية الفرنسية ، ودخل إلى معجم أكسفورد عام ١٨١٢م .

هذا ؛ ومن خلال استقراء المراجع والدراسات التي تناولت موضوع الاستشراق يلاحظ أنها – في الجملة – تفيد بأن المستشرق (صيغة اسم الفاعل) ، إنما هو الماهر بما ذكر في تعريف كلمة الاستشراق ، والشخص الغربي الذي يتفقد جميع أحوال الشرق ، ولا فرق بين أن يكون نصرانياً أو

* أستاذ الحديث والأدب العربي بالجامعة الأهلية المحسنية دار الحديث ، سلهت ، بنغلاديش .

يهودياً أو مسلماً حتى ملحداً ينكر الدين من أصله ، وإن كان السواد الأعظم ممن ركب تيار الحركة الاستشراقية هم من غير المسلمين ، المهم أنه – بحسب تلك المراجع والدراسات – باحث غربي يطلب دراسة علوم الشرق ، خاصة الشرق الإسلامي العربي ، وهذا ما تميل إليه النفس .

نشأة الاستشراق :

يعود الارتباط التاريخي بين الشرق والغرب إلى ظهور التبادل التجاري في أيام الكنعانيين والصراع الذي احتدم إثر ذلك في القرن السادس قبل الميلاد بين إيران واليونان ، فبدأ الإغريقيون منذ ذلك الحين بـ " التعرف إلى الشرق " من أجل تحسين أدائهم في عملية الدفاع والهجوم .

فكان أول مستشرق في تلك المرحلة هو المؤرّخ اليوناني الشهير هيرودوتس حيث أخذ هذا المؤرخ الكبير الذي عرف بـ " أبي التاريخ " بتسجيل مشاهداته وملاحظاته حول الري وبلاد ما بين النهرين والرافدين " العراق " ، ومصر والشام وشبه الجزيرة العربية ، وكذلك معرفة السكان القاطنين فيها وعاداتهم ، وتجاراتهم والبضائع التي يتاجرون بها في تاريخه المعروف ، وإن كانت كتاباته تشتمل على الكثير من الأساطير والخرافات ووقائع مبالغ فيها ولا أساس لها من الصحة .

أما الارتباط الثاني فيعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد ، حيث هاجم الإسكندر المقدوني الملك الإغريقي الشاب الأراضي الإيرانية وكافة الأقطار الشرقية ، واحتل كافة المناطق الآسيوية مدفوعاً بفكرة الهيمنة على جميع الكرة الأرضية وتوحيدها تحت لوائه ، حتى تمكن من بلوغ البوابات الصينية ، ولم يتوقف زحف القوات الغربية إلا بموته المبكر عن عمر ناهز الثالثة والثلاثين عاماً . وقد عمد الإسكندر في هذه الحملات إلى فتح الجزيرة العربية بعد فتح مصر والهلال الخصيب ، فأرسل طلائع بقيادة أرخياس (Archias) للتوجّه من مدينة بابل إلى عمق البحرين للحصول على المعلومات اللازمة والتي تساعد وتسهل هجوماً ناجحاً عليها ، فجمع معلومات كثيرة عن تلك المناطق شكلت فيما بعد جزءاً من الوثائق الاستشراقية .

وإن تاريخ الاستشراق يرجع في نشأة له أخرى إلى القرن الثالث عشر الميلادي والعوامل التي كونت هذا التاريخ إنما هي دينية وسياسية واقتصادية ، ولكن الاستشراق قد بدئ من جديد عندما ازدهرت الحضارة الإسلامية في الوقت الذي كان الغرب المسيحي يتخبط في دياجير الجهل والخمول والفساد والضلال ، فتعجب بعض رجال الغرب

بحضارة المسلمين فتوجهوا إلى الدول الإسلامية ينهلون من ثقافتها ، وما لبث الرهبان أن سلكوا هذا الطريق ولكن بأساليب معوجة ، إذا اهتموا بالثقافة العربية الإسلامية ، ليس حباً فيها ، ولكن لغاية في أنفسهم ، هى تدنيس الإسلام ، وكان أول المستشرقين منهم ، هو الراهب الفرنسي جربرت الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩م بعد تعلمه في جامعات الأندلس الإسلامية وعودته إلى بلاده ، وهكذا لم ينشأ الاستشراق كما يتصور البعض لخدمة العلم والمحافظة على تراث الشرف من الضياع ، وإنما بدئ أول ما بدئ في رعاية الكنيسة الكاثوليكية ، وخضع لإشراف دقيق منظم من كبار أحبارها ، وكان الرهبان والعقاد هم جنوده الأولين ، وعلى الرغم من أن المستشرقين يتصفون ، وعلى حد زعمهم بقيامهم بإجراء دراسات وأبحاث موضوعية وبناءة مبنية على أسس علمية متينة ، وذلك في مختلف مجالات الحياة ، إلا أننا نجدهم يتخلون حتى عن الضوابط المنهجية البسيطة لإجراء الأبحاث العلمية والقواعد التنظيمية ، وكأنهم لا صلة لهم بالأبحاث العلمية النزيهة ، وذلك حينما يتعلق الأمر بالإسلام والقرآن الكريم أو سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ حيث من دأب طائفة كبيرة من المستشرقين البحث عن مواضع الضعف في الشريعة الإسلامية ، وإبرازها لأجل غاية سياسية أو دينية ، ناهيك عن إثارة شبهات حول الإسلام ومصادره من حين لآخر .

أهداف الاستشراق :

إن المرامي التي يسعى إليها أصحاب الاستشراق أي المستشرقون ينقسم إلى أنواع :

(١) الهدف الديني : وهو أول أغراض الاستشراق وأهمها على الإطلاق ، وقد بدئ بتشجيع من الكنيسة وسدنة نحلتها فعندما رأى النصارى وبخاصة رجال دينهم انتشار الإسلام ، وكذلك إقبال الناس على دين الحق قاموا بمحاربته باتجاهات ومقاصد كثيرة .

(٢) الهدف السياسي : وهو يريد إنهاك روح الإخاء بين المسلمين والعمل على تفريقهم لإحكام السيطرة عليهم والعناية باللهجات العامية ودراسة العادات السائدة .

(٣) الهدف التجاري : وهو من الأهداف التي لها أثر ملموس في تنشيط الاستشراق .

(٤) الهدف الاستعماري : لقد خدم المستشرقون الأهداف الاستعمارية لأقطارهم عن طريق الاستيلاء على ثروات الممالك التي رغبوا

في استعمارها .

(٥) الهدف الثقافي : إن من أبرز أهداف الاستشراق نشر الثقافة الغربية ، ومن أنجع المجالات الثقافية ترويج اللغات الأوربية ومحاربة اللغة العربية وصبغ البلاد العربية والإسلامية بالطابع الثقافي الغربي .

(٦) هدف علمي خالص ليس وراءه إلا البحث والتمحيص : وهكذا اختلفت أساليب المستشرقين وتعددت وسائل غزوهم الفكري محاولين النيل من الإسلام ، ولكن لا يفوتنا القول بأن مجموعة منهم كانوا أصحاب ضمائر حية فأبوا إلا أن ييسروا حقيقة ما انتهت إليه دراساتهم الطويلة ، وبحوثهم العميقة ، فكانت كلمة حق في الاسلام ساعدت على تصحيح بعض أفكار الغرب الخاطئة عنه ، ومن هؤلاء المستشرقين من اعتنق الإسلام وحسن إسلامه ، ومنهم من ظل على عقيدته رغم التزامه بالتجرد والأمانة العلمية في كتاباته ؛ مثل : توماس أرنولد الذي أنصف المسلمين في كتابه " الدعوة إلى الإسلام " ولكن المستشرقين المتعصبين صرحوا بأنه صار مندفعاً بعاطفة قوية من الحب والعطف على المسلمين .

ألا يعلمون أن الإسلام دين الله للعالم كله ، فلا يمكن أن يستأثر بفهمه قوم دون قوم فليتفطن له من شاء ما شاء على أن يتحلى بصفة العلماء ، وهي الإنصاف والإخلاص للحق ، والبعد عن العصبية والهوى .

اللهم اهد قلوبنا وسدد ألسنتنا ، واهد بنا واهد الناس جميعاً واجعلنا با سببا لمن اهتدى ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم .

المصادر والمراجع :

١. مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين للإمام الجليل العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، ص : ١٥ .
٢. كتاب الاستشراق ، ص : ٩ — ١٣ .
٣. مجلة استشراقية ، ص : ١٧٦ .
٤. الاستشراق : نشأته وأهدافه ، ص : ٦٤ — ٦٥ و ٦٨ .
٥. أهداف الاستشراق ، ص : ٢ — ٧ .
٦. الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم للدكتور مصطفى السباعي ، ص : ٨٦ .
٧. مجلة البعث الإسلامي ، فبراير ٢٠٢٥م ، ص : ٦٧ — ٦٨ .
٨. حولية " التكبير " (الصادرة عن الجامعة المدنية قاسم العلوم شاهباغ ، ذكيغنج ، سلهت) ، ص : ٧٥ — ٧٧ ، إلى غير ذلك .

كما نعلم أن للصحافة علاقةً متلازمةً بين القصة الحديثة ، ولنشأة القصة الحديثة في الكويت علاقة حميمة بالصحافة ، وتعتبر ميلاد القصة القصيرة الكويتية الأولى بميلاد الصحافة ، وبتطور الحركة الأدبية ، ويرى بعض الأدباء والنقاد أن أول قصة كويتية " منيرة " كتبها الشاعر خالد الفرج (١٨٩٨ – ١٩٥٤م) ونشرها بمجلة " الكويت " التي أسسها ورأسها الشيخ عبد العزيز الرشيد ، ولكن اختلف في هذا الأمر الروائي الكبير إسماعيل فهد إسماعيل ، قائلاً أن القصة القصيرة " منيرة " لا توجد في أعداد تلك المجلة . ويقول : إن أول قصة قصيرة على أرض الكويت هي " بين السماء والسماء " للكاتب ولد غريب . وذهب الدكتور جميل حمداوي إلى أن أول قصة قصيرة كتبت على أرض الكويت هي " أحلام الشباب " لفاضل خلف عام ١٩٥٧م ، لتعقبه مجموعة قصصية لإسماعيل فهد إسماعيل عام ١٩٦٥م تحت عنوان " البقعة الداكنة " والتي نشرت في بيروت لبنان .

" أحلام الشباب " لفاضل خلف ، صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٥٧م . و" البقعة الداكنة " لإسماعيل فهد إسماعيل ، صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٦٥م .

و " الصوت الخافت " لسليمان الشطي ، صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٧٠م عن مكتبه الأمل بالكويت ، و " رجال من العرف العالي " صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٢٨م ، عن مكتبة دار العروبة بالكويت .

وقصة " الرحيل " لليلى العثمان صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٧٠ م في الكويت ، ولها " امرأة في إناء " صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٧٦م ، عن مطبعة ذات السلاسل بالكويت ، وكذلك لها " فتحية تختار موتها " عام ١٩٧٧م ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ولها " يحدث كل ليلة " صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٧٩م ، وفي " في الليل تأتي العيون " صدرت طبعتها الثانية عام ١٩٨٠م ، عن دار الآداب بيروت لبنان ، و " الحب لها صور " صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٨٢م عن مطابع الكويت ، و " حكاية حب " صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٩٢م عن شركة الربيعان ، للنشر والتوزيع بالكويت .

و " وجوه في الزحام " لفاطمة يوسف العلي ، قصة طويلة ، صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٧١م ، عن مطبعة حكومة الكويت التابعة لوزارة الإعلام.

و" هدامة " ١٩٧٤م ، " مجموعة قصص ثانية " ١٩٧٨م ، و " الشارع الأصفر " ١٩٩٧م لسليمان الخليفي ، صدرت هذه المجموعات القصصية من الكويت .

و " العرق الأسود " لثريا البقصمي صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٧٧م عن مطبعة حكومة الكويت ، ولها " السدرة " صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٨٨م ، عن مكابع الخط بالكويت .

و " تعلق – نقطة تسقط – طق –) لوليد الرجيب ، صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٨٣م ، عن دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، وله " إرادة المعبود في أبي جاسم ذي الدخل المحدود " صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٨٩م ، عن دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، وكذلك " الريح تهزها الأشجار " صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٩٤م ، عن دار النهج بالكويت ، و " بدرية " هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٩٤م عن دار النهج الجديد بالكويت .

و " امرأة لا تتزوج البحر " لعالية محمد شعيب ، صدرت الأولى عام ١٩٨٩م بالكويت ، ولها " بلا وجه " صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٩١م ببريطانيا .

و" فقدان الهوية " لوليد خالد المسلم ، صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٨٩م ، ضمن منشورات جريدة الوطن بالكويت .

و " تضاريس الوجه الآخر " لمحمد مسعود العجمي ، صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الثانية عام ١٩٨٩م .

و " اليوم المجد " لعبد اللطيف خضر ، صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٩٠م عن مطبعة شركة الربيعان للنشر والتوزيع بالكويت .

و " وليمة القمر " لناصر الظفيري ، صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٩٠م ، عن دار الغدير للصحافة والنشر بالكويت .

و " ليالي الجمر " لحمد الحمد ، صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٩١م ، مكابع الخط بالكويت ، وله " عثمان

وتقاسيم الزمان " صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٩٤م ، عن شركة الربيعان للنشر والتوزيع بالكويت .

و " برودوة حتى الاحتراق " لعائشة راشد عبد الهادي ، صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٩٢م ، بالكويت .

و " النخلة ورائحة الهيكل " لمنى الشافعي ، صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٩٢م عن دار سعاد الصباح بالكويت ، وكذلك " البدء . . مرتين " صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٩٤م ، عن شركة الربيعان للنشر والتوزيع بالكويت .

و " الضال " لخلف الحربي ، صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٩٣م بالكويت .

و " لقاء في موسم الحج " لليلى محمد صالح ، صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٩٤م عن دار سعاد الصالح بالكويت .

و " أبو عجاج طال عمرك " لطالب الرفاعي ، صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٩٤م ، عن دار سعاد الآداب ببيروت ، لبنان .

و " بدويا جاء . . بدويا رحل " لجاسم محمد الشمري ، صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٩٥م الكويت .

و " حديث الوسادة " لخولة القزويني ، صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٩٧م ، عن دارالصفوة ، ببيروت لبنان .

و " البيت الكبير " لبزة الباطني ، صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٩٧م .

و " اصبر يا حكيم " لوليد خالد المسلم ، صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٩٨م ، عن دار المختار العربي ببيروت ، لبنان .

و " حكاية رملية " لطالب الرفاعي ، صدرت هذه المجموعة القصصية في طبعتها الأولى عام ١٩٩٩م عن دار المدى بدمشق ، سوريا .

مميزات القصة القصيرة الكويتية :

مرت القصة القصيرة الكويتية بمرحلتين ، المرحلة الأولى : قبل استقلال دولة الكويت ، وتصدير النفط ، والمرحلة الثانية : هي بعد استقلالها عام ١٩٦٢م بعد ظهور البترول ، لهاتين المرحلتين للقصة القصيرة

خصائص ومميزات ، أما المميزات للقصة القصيرة قبل استقلال دولة الكويت ، وقبل ظهور النفط كما يلي :

- اتسمت القصة القصيرة الكويتية قبل ظهور النفط باختفاء التجربة الذاتية ، ولم تظهر التجربة الذاتية في كتاباتهم ، وقصصهم ، ولم يركزوا الكتاب عنايتهم فقط إلى تصوير أنفسهم ، وحاجاتهم ، وعلى الرغم أن أكثرهم كانوا من الإصلاحيين ومن أبناء التجار .
- كانت تتسم كتاباتهم بأسلوب سردي وإخباري ، مع أن بعض الكتاب في مصر أمثال : نجيب محفوظ (١٩١١ – ٢٠٠٦م) ، ويوسف إدريس (١٩٢٧ – ١٩٩١م) ، وأمين يوسف غراب (١٩١٢ – ١٩٧٠م) ، ومحمود بدوي (١٩٠٨ – ١٩٨٦م) كانوا ينشرون إنتاجاتهم القصصية والأدبية ، وكتب القصص العربية والقصص المترجمة في المكتبات الكويتية كانت قليلة جداً في تلك الفترة ، حتى القصص التي كانت موجودة في المكتبات كانت قليلة ، ولم يظهر السينما والمسرح التليفزيون ، وغير ذلك من الأجهزة الإعلامية والتكنولوجيا التي تترك على القصة تأثيراً كبيراً .
- وكذلك تتسم القصة القصيرة الكويتية بركاكة اللغة ، وضعف التركيبات اللغوية ، وعدم القدرة على الإيجاز ، وكذا التقصير في جانب الإيحاء غير المباشر ، وإنارة اللحظة ، وذلك يعود إلى محدودية مصادر الاطلاع والثقافة .
- معالجة القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وكان المنحى الإصلاحي يغلب عليها .

وبعد استقلال دولة الكويت وخروج النفط من أرضها ، ظهر الإعلام والتلفزيون ، والسينما ، والمسرح ، والصحافة التي استمالت كثيراً من هؤلاء كتاب القصص إلى ممارسة الإبداع الأدبي ، " وهذه السياسة الإعلامية شجعت الكثير من الكتاب الناشئين ، المغامرين منهم ، وغير الشباب ، المنتفعين منهم ، إلى جمع خواطرهم الصحفية ضمن دفتي ملف ، لتخرج من مبنى وزارة الإعلام إلى الأسواق مطبوعة على ورق صقيل مزدان بالرسوم ، على أن تقوم وزارة الإعلام نفسها بشراء مجموعة من النسخ . . . هذا التشجيع دفع هواة التأليف إلى النظر بجدية إلى مصدر دخل مجز ، دون نظر إلى الاعتبارات الأدبية والفنية ، ناهيك عن دور الأدب كوظيفة اجتماعية .

هذه هي جملة من الصفات التي تميزت بها القصة القصيرة

الكويتية قبل استقلالها ، وقبل تصدير البترول ، وأما المميزات للقصة القصيرة الكويتية بعد ظهور النفط واستقلال دولة الكويت ، نستطيع أن نجملها فيما يلي :

- اتسمت القصة القصيرة الكويتية في هذه المرحلة بتصوير التجارب الذاتية ، صور كتاب القصص في هذه المرحلة أنفسهم ، وحاجاتهم الحياتية ، ومعاناتهم ، وهمومهم ، ولجأوا إلى الاستبطان ، والتحليل النفسي ، والخوض في الأعماق النفسية الإنسانية .
- تأثر كتاب القصص في هذه المرحلة بالقصص العربية ، والمترجمة ، وقد أدى هذا التأثر إلى ازدهار القصة ، وزادت الثروة اللغوية عند كتاب القصص ، وصقلت مواهبهم الأدبية ، واطلعوا على آفاق جديدة في كتاب القصة .
- كذلك اتسمت بواقعية نقدية ، تتعامل مع الواقع برؤية فنية اجتماعية فكرية جديدة ، تكاد تتوازى للتوازن مع التغييرات الكمية والنوعية التي طرأت على مجمل جوانب العلاقات السائدة في المجتمع الكويتي "[1] .

المصادر والمراجع :

١. إسماعيل ، إسماعيل فهد ، القصة العربية في الكويت ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٨٠م .
٢. عز الدين ، إسماعيل ، الأدب وفنونه ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .
٣. الزيد ، خالد سعود ، أدباء الكويت في قرنين ، الكويت ، شركة الربيعان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م .
٤. الشطي ، سليمان ، مدخل القصة القصيرة في الكويت ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٣م .
٥. صالح ، ليلى محمد ، أدباء وأديبات الكويت ، الكويت ، رابطة الأدباء في الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م .
٦. عبد الله ، محمد حسن ، الحركة الأدبية والفكرية في الكويت ، الكويت ، رابطة الأدباء في الكويت ، ١٩٧٣م .
٧. الرشيد ، عبد العزيز ، تاريخ الكويت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨م .

[1] إسماعيل فهد إسماعيل ، القصة القصيرة في الكويت ، قراءة نقدية ، ١٢٧ .

من العداوة إلى الصداقة

محمد فرمان الندوي

يشاهد العالم وحدةً ثنائيةً ، وتضاماناً ممقوتاً ، مكوناً من اليهودية والنصرانية في الغارة على العالم الإسلامي ، ولا سيما في الهجمات المتتالية على غزة العزة والصمود ، وهي وحدة مشئومة استوت على أسس ضعيفة ، ودعائم منهارة ، رغم أن بينهما حروباً داميةً ، وصراعات عنيفةً سجَّلها التاريخ الإنساني عبرةً لأولي الألباب ، فلو تذكرت كل طائفة هذه التداعيات وخاضت في أعماقها ، لكرهت أختها وعافتها ، وبدأت ضدها محاربات ومناوشات جديدة ، لكن يا لكراهية الإسلام والمسلمين أن قوى الشر والفساد قد اجتمعت ضد الإسلام ، وتناست الخلافات الداخلية ، وبدأت تشن الغارات والهجمات على دول العالم الإسلامي ، إيذاناً بأن الكفر ملة واحدة .

تأصلت اليهودية منذ زمن سيدنا يعقوب عليه السلام ، وهو ولد إسحاق عليه السلام ، وقد سُمي يعقوب بإسرائيل ، معناه عبد الله ، فسمي أولاده ببني إسرائيل ، فاليهودية ديانة سلالية ، وليست هناك إرساليات لنشر اليهودية ، فكل من كان مولوداً في أسرة يهودية كان يهودياً حسب المعتقدات المتوارثة لدى حاخاماتها ، فنشأت اليهودية وامتدت أغصانها وفروعها نسبةً إلى ابن يعقوب عليه السلام ، وهو يهوذا بن يعقوب ، وقد مرت اليهودية بمراحل وفترات ، ظهرت فيها طبيعتها النجسة ، ووجهها الكالح ، فاليهود سوس البشرية وسرطانها ، وهم حسب التعبير القرآني الحمير والجبناء ، والمحرفون المزيفون ، والعصاة المجرمون ، إنهم سماعون للكذب ، وأكالون للسحت ، وأنجاس وأنكاد ، وقردة

وخنازير ، وعبيد الطواغيت ، وقد لُعنوا على ألسنة الأنبياء ، تحسبهم متحدين ومتضامنين ، وهم شتات ، وهم حمقى وأغبياء ، وقتلة الأنبياء ، وقد ضُربت عليهم الذلة والمسكنة ، ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون .

واليهودية تؤمن بالتوراة ، والتوراة تُعرف أيضاً بالعهد القديم ، فالعهد القديم يتكون من خمسة أجزاء : سفر التكوين ، وسفر الخروج ، وسفر اللاوي ، وسفر التثنية ، وسفر العدد ، وهناك سفر آخر ، وهو يعرف بالتلمود ، ويدعي اليهود أن موسى عليه السلام ألقى التلمود على بني إسرائيل من فوق طور سيناء ، ثم حفظه عنه هارون ، ثم تلقاه من هارون يشوع ، ومنه أخذ الحاخام يهوذا ، وكلمة تلمود كلمة عبرية تعني الشريعة الشفوية والتعاليم ، وهو كتاب تعليم للديانة اليهودية ، فإن اليهود يعتبرونه الكتاب الثاني للتشريع ، وقد أثبتت الدراسات أن توراة اليهود وتلمودهم ليست توراة الرحمن ، فقد لعبت بهم الشياطين ألاعيب ، فأخذوا يكتبون ما تملي عليه نفوسهم من خرافات وخزعبلات ، فهي مجاميع سفاهات وحماقات .

وتُعد المسيحية والنصرانية أكثر الناس عدداً في العالم ، وهي تنتمي إلى قرية الناصرة ، وهي تؤمن بالإنجيل المنزل على سيدنا عيسى عليه السلام ، وتعتبر أربعة أناجيل ،(مرقص ، لوقا ، متى ، يوحنا) موثوقاً بها عندها ، وهي تسمى بالعهد الجديد ، وقد وقع المسيحيون في ضلالات عديدة منها : عقيدة التثليث ، وعقيدة الحلول ، وعقيدة الكفاره ، وعقيدة الفارقليط ، فإن هذه السفاهات والضلالات جعلت المسيحية ألعوبةً في أيدي الصبيان والغلمان ، فلم تكن النصرانية سالمةً من التحريفات والإضافات ، بل أصبحت فريسةً لكيد الكائدين ومكر الماكرين ، وكان وراءها يد بولس الذي كان يهودياً ، فآمن بالنصرانية ، وقام بالتحريف والتبديل فيها ، إن سيدنا عيسى عليه السلام بُعث إلى بني إسرائيل وأشرار اليهود لإصلاح أحوالهم ، فدعاهم إلى التوحيد ، وإفراد الألوهية لله تعالى ، فبدلاً من أن يؤمنوا به بدؤوا يحيكون ضده ، وقد بلغ الأمر إلى أن يصلبوه حسب زعمهم .

صفحة سوداء من اليهودية :

كانت اليهودية ديانةً ، وكانت النصرانية ديانةً ، لكن لما أراد سيدنا عيسى عليه السلام إصلاح هذه الشرذمة من بني إسرائيل أصبحوا أعداء ألداء له ، وبدؤوا يؤامرون ضده ، فأصحاب الأخدود الذين لعنهم الله في القرآن الكريم قد أحرقوا آلافاً من النصارى عام ٥٢٤م في نجران ، وكان رئيسهم ذا نواس اليهودي ، وجاء في التلمود : يجب على يهودي أن يلعن كل يوم النصارى ثلاث مرات ، ويطلب من الله أن يبيدهم ويفني ملوكهم وحكامهم ، وعلى كهنة اليهود أن يصلوا ثلاث مرات في كنائسهم بغضاً للمسيح الناصري ، وعلى اليهود أن لا يفعلوا مع الوثيين لا خيراً ولا شراً ، وأما مع النصارى فليسفكوا دمهم ويطهروا الأرض منهم ، وجاء في التلمود الجديد : إن تعاليم يسوع كفر ، وتلميذه يعقوب كافر ، وإن الأناجيل كتب الكافرين (نهاية اليهود للأستاذ أبي الفداء محمد عزت محمد عارف ، طبع دار الاعتصام) ، هذا ما كان يعتقد اليهود منذ قديم زمانهم .

وقد ثارت حمية النصارى قديماً ضد اليهود ، ففعلوا بهم من الأفاعيل ، وقتلوهم وشرَّدوهم من دولة إلى دولة أخرى ، نظراً إلى خبثهم الداخلي ، ومكرهم المترامي الأطراف ، وكانوا يعتبرونهم خطراً على جميع الشعوب ، وخاصةً على النصرانية ، وقد عبر القرآن الكريم عن صراعات ونزاعات بينهم قائلاً : (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ) ، ويعلم الباحثون أن محاكم التفتيش هي سلطة قضائية كنسية أقامها البابا التاسع المعروف بغريغوري لإزالة الجرائم والانتهاكات اليهودية ضد المسيحية ، وقد قامت هذه المحاكم في الدول المختلفة ، وقد نشطت هذه المحاكم منذ القرن الثالث عشر إلى السادس عشر الميلادي ، وذهب ضحيتها خمسة ملايين إنسان ، فأعدمت آلاف مؤلفة من الناس جراء مخالفات عامة ، ثم كانت التشريدات لليهود من دول شتى في مختلف أزمنة التاريخ ، وقد طُرد اليهود من إنجلترا عام ١٢٩٠م ، ومن فرنسا عام ١٣٩٠م ، ومن النمسا عام ١٤٢٠م ، ومن أسبانيا عام ١٦٦٢م ، وقد أُخرجوا من ألمانيا عام ١٧١٩م ،

ومن روسيا سنة ١٧٢٧م ، ثم جاء هتلر ، فقتل منهم من قتل ، هكذا ما زالت العداوة العنيفة والاضطهاد العظيم مستمراً بين اليهود والنصارى ، لكن اليهود ما زالوا يفكرون جدياً بإزالة هذه العداوات ، لأنهم يشعرون بأنهم شعب الله المختار .

عداوة تحولت إلى صداقة :

وقد مرت أوروبا بأصعب فترات المجاعة والقحط ، والخواء الروحي ، وظلم الكنيسة ، ثم جاءت فترة الثورات سواء كانت من مارتن لوثر في القرن السادس عشر أو كانت من نابليون (١٧٨٩م) ، وقد تظاهر عدد من الحاخامات بالدخول في النصرانية لكسب مودة النصارى وثقتهم ، وأنشأوا تحقيقاً لهذا الغرض منظمات ومؤسسات ، ترفع شعارات الحرية والعدالة والإخاء والمساواة ، ومن هنا حصلت لليهود علمنة الحياة في أوربا ، وسيطرة واسعة على ثروات العالم ، فخففوا العداء والمناوءة ، وسلكوا في ذلك مسالك شتى ، حتى تمكنوا من إحياء التحالف اليهودي والنصراني ، وتركز جل عناية هذا التحالف على إلغاء الخلافة العثمانية التي كانت النصارى تتحين الفرص لأخذ ثأر الحروب الصليبية ، وكان اليهود ينتظرون تسخير مآربهم التلمودية وراء هذا الثأر ، فصدر قرار بين اليهود والنصارى لتبرئة اليهود من دم المسيح ، وإزالة كل عداء مسيحي لليهود عبر التاريخ ، ثم احتال اليهود ، فجعلوا هذا الأمر عقدياً وتعبدياً ، بنزول المسيح حسب معتقداتهم ، فلن تتزحزح عنه اليهودية والنصرانية حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

فاليهود والنصارى لهم تاريخ طويل للعداوات والحزازات ، والتناحرات والاشتباكات ، لكنهم متحدون ومتضامنون ، وقائمون جنباً إلى جنب لمحو الإسلام والمسلمين ، أما العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه فهو مبعثر وموزع ومشتت مثل حبات سبحة ، فلا قيمة ولا مكانة له في مصاف العالم بالتفرق والتشرذم ، فإذا كان أعداؤنا متحدين رغم معارك ضارية ، وحروب طاحنة ، فلماذا لا نتضامن ونتحد في الأوضاع الخطيرة للغاية ؟ هذه وقفة تأمل ، فليتأمل فيها أولو البصر والبصيرة .

هذا الطفل

(تحية لأطفال غزة الأبطال)

الشاعر محمد الشرقاوي *

(١)

هذا الطفلُ بألفٍ منكمْ ... لا ، بلْ زاد عنِ المليونْ
هذا الطفلُ يُدافعُ عنكمْ ... حين يَصدُّ بني صهيونْ
هذا الطفلُ البطلُ الصاعدُ ... يصنعُ نصرًا حيثُ يكونْ
هذا الطفلُ العارفُ حقًّا ... أنَّ الكربَ غدًا سيهونْ
أنَّ الفجرَ قريبًا آتٍ ... أنَّ الفوزَ لِمَنْ يُعطونْ
نَفْسًا ، روحًا ، أهلًا ، مالًا ... حينَ يَلُوحُ هُنا الباغونْ
هذا الطفلُ الغارسُ عِزًّا ... في أجيالٍ سوفَ تصونْ
أرضًا ، دينًا ، وطنًا ، شعبًا ... يومًا يصحو بعد قرونْ
يومًا يُدركُ أنَّ الوحدةْ ... فَرضٌ يمحو كُلَّ ظنونْ
هذا الطفلُ بألفٍ منكمْ ... لا ، بلْ زاد عن المليونْ

(٢)

هذا الطفلُ بألفٍ ناموا ... لا ، بلْ زاد عن المليارْ
مِمَّنْ صلَّوا ، مِمَّنْ صاموا ... هذا يَصمدُ للتيارْ

* المسئول الإعلامي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

هـذا عَلَّـمَ كُـلَّ الـدنيا أنَّ النـصـرَ لأهلِ الـدارْ
أنَّ الـمرءَ يعيشُ كريمًا حينَ يُصارعُ في الأخطارْ
حـيـنَ يـصافحُ قِمَّةَ حُلمٍ حينَ يواجهُ كُـلَّ شِـرارْ
حينَ يبيعُ الـعـمـرَ فِـداءً حتى يغربَ كُلُّ حصارْ
حتى يَهربَ كُـلُّ ظلامٍ يخشى أصـواتَ الأحرارْ
إنِّـي بـاقٍ ، بـاقٍ ، بـاقٍ لن أرضَى صـمـتًا وفِرارْ
في قـلبي أنوارُ شـفـيـعـي في عـقـلـي أحداثُ الغار
هذا الطفلُ بألفٍ منكمْ لا ، بل زاد عـن المليار

(٣)

هذا الـطـفـلُ أمـيرٌ يعلو يـزرعُ كُـلَّ الأرضِ حماسْ
هذا الـطـفـلُ ملاكٌ يبدو يُـرعِـبُ أنـظـارَ الأنـجاسْ
هـذا الـطـفلُ حفيدُ صلاحٍ لا يـسـمـعُ صوتَ الخنَّاسْ
هذا الـطـفـلُ بـكـلِّ شموخٍ يسقي الغاصبَ مُرَّ الكاسْ
جَـبَـلٌ ، جَبَلٌ ، بَرقٌ ، رعدٌ لا يـمـكـثُ بـينَ الأقواسْ
غَضَبٌ ، غَضَبٌ ، نارٌ ، نارٌ تـخـرجُ في عـددِ الأنـفاسْ
تُـعـلِـنُ أنَّ الأرضَ ستبقَى في قَـبضـةِ خـيـرِ الحراسْ
جِـيـلٌ يمضي ، جِيلٌ يأتي يـومـًا سـتـقامُ الأعراسْ
ويـعـودُ نـشـيـدي ويغني أجـنـادي يا خـيـرَ الناسْ
هذا الطفلُ بِشَعبٍ مـنـكمْ هـذا يـزرعُ كُـلَّ حماسْ

مساهمة الهنود في الأدب العربي في القرن العشرين

إعداد : د . أبو تراب الندوي ، دهلي

نظم قسم اللغة العربية ندوةً وطنيةً حول مساهمة العلماء الهنود في الأدب العربي في القرن العشرين في ١٢ و١٣ من شهر فبراير عام ٢٠٢٥م . استهلت الجلسة الافتتاحية للندوة بكلمة ترحيبية ألقاها رئيس قسم اللغة العربية بجامعة دلهي الأستاذ السيد حسنين أختر ، حيث رحب بالحضور كمدير للندوة ، وأعرب عن شكره العميق للأساتذة والباحثين والضيوف الذين لبوا الدعوة للمشاركة في هذا المؤتمر العلمي المتميز ، وخص بالذكر سعادة السفير العماني د . عيسى صالح الشيباني والأستاذ أميتافا تشاكرأبورتي ، عميد كلية الآداب بجامعة دلهي ، والأستاذ محسن العثماني الندوي ، عميد كلية الآداب سابقاً بجامعة إيفلو ، حيدرآباد . وفي خطبته الترحيبية أبرز الأستاذ حسنين أختر أهمية الموضوع مؤكداً على أن الهند أنجبت كثيراً من العلماء الذين بذلوا قصارى جهدهم في مجال الدراسات العربية وقدموا أعمالاً جليلة تركت أثراً بارزاً في ميادين العلم والمعرفة ، ثم ألقى الأستاذ العثماني خطابه الرئيسي ، وتحدث بإسهاب عن دخول اللغة العربية في الهند وتأثيرها في مختلف الميادين العلمية والثقافية ، واستعرض دور المدارس الإسلامية العربية الرائدة في نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية ، وكذلك ركز على دور الجامعات الهندية في تطوير الدراسات العربية . وذكر بعض أهم المؤلفات والمعاجم العربية التي نالت شعبية كبيرة . وفي مداخلته سلط الضوء على مساهمة الشعراء الهنود والصحافة العربية في الهند مشدداً على أهمية مواصلة الجهود للحفاظ على هذا التراث وتعزيزه في العصر الحديث .

وفي نهاية الجلسة الافتتاحية قدم الأستاذ نعيم الحسن ، رئيس قسم اللغة العربية سابقاً بجامعة دلهي كلمة الشكر والتقدير إلى الأساتذة والباحثين والضيوف والمستمعين بأسلوب ممتع . والجدير بالذكر أن الدكتور مجيب أختر الندوي منسق لهذه الندوة قام بتنسيق الجلسة الافتتاحية خير قيام . وبعد الجلسة الافتتاحية عقدت ثلاث جلسات أكاديمية حضورياً وضمن فعاليات اليوم الأول للندوة عقدت ثلاث جلسات افتراضية متوازية أيضاً ، وقُدمت فيها بحوث قيمة حول موضوع الندوة وشهدت مناقشات ثرية .

أما اليوم الثاني للندوة فشهد نشاطاً أكاديمياً مكثفاً ، حيث قُدمت فيها أكثر من ثلاثين مقالة بحثية حضورياً وافتراضياً في ست جلسات أكاديمية . وقد ترأس الجلسات الأكاديمية في كلا اليومين نخبة من الأساتذة والأكاديميين

من مختلف الجامعات الهندية مثل أ . د . محمد أيوب تاج الدين وأ . د . حبيب الله خان وأ . د . رضوان الرحمن وأ . د . مجيب الرحمن وأ . د . عبد الماجد قاضي وأ . د . محمد سميع أختر وأ . د . ثناء الله وأ . د . محمد إقبال حسين وأ . د . مظفر عالم وأ . د . عائشة كمال وأ . د . عليم أشرف جائسي وأ . د . السيد راشد نسيم وغيرهم من الأساتذة البارعين الذين أناروا الحضور بملاحظاتهم الرائعة وتعليقاتهم الحادة ، ومن أبرز المشاركين الذين أسهموا في هذه الندوة بمداخلاتهم القيمة وآرائهم الثرية أ . د . زبير أحمد الفاروقي ، أ . د محمد قطب الدين وأ . د . نسيم أختر ، وأ . د . فوزان أحمد ، أ . د . محمد سليم ود . محمد أجمل ود . مستفيض الرحمن ود . محمد قاسم عادل ود . جمشيد أحمد ود . جاويد نديم ود . أكرم نواز ود . زرنغار ود . وسيم أحمد ود . مشتاق عالم والأستاذ محمد فرمان الندوي مدير تحرير مجلة البعث الإسلامي وغيرهم .

وبهذه المناسبة أُقيم حفل تدشين كتاب " الحل المدلل على الدارمي من النصف الأول " للشيخ الحافظ الشاه عطاء ، بتحقيق الأستاذ محمد نعمان خان ، الرئيس السابق لقسم اللغة العربية بجامعة دلهي مما أضفى على الحدث طابعاً مميزاً يعكس الإسهامات المستمرة في مجال الدراسات العربية . وقد ترأس هذا الحفلَ المفتي محمد راغب ، وحضره الشيخ أنيس الرحمن كضيف شرف ، بينما قام الأستاذ فيصل أحمد البهتكلي الندوي بتعريف الكتاب بشكل موجز ودقيق . وقدم الأستاذ ظهير حسين الجعفري الأستاذ المتقاعد من قسم التاريخ بجامعة دلهي ملاحظاته المفيدة حول هذا المؤلف ، واختتم الحفل بكلمة الشكر من الأستاذ حسنين أختر الذي أدار تنسيقه بأسلوب جميل .

وفي الأخير عقدت جلسة ختامية حضرها الأستاذ حبيب الله خان من الجامعة الملية الإسلامية كرئيس للجلسة الختامية الذي أشاد بأهمية هذه الفعاليات في تعزيز البحث العلمي والتبادل الثقافي ، وهنأ المنظمين على نجاحهم في تنظيم هذا البرنامج الرائع . وفي هذا الحفل تم توزيع الجوائز والشهادات على الطلاب الفائزين والمشاركين في المسابقات المتنوعة التي أُقيمت احتفاءً باليوم العالمي للغة العربية ، تقديراً لجهودهم وتشجيعاً لهم على مواصلة الاهتمام باللغة العربية وثقافتها . وقام بإدارة هذه الجلسة د . محمد أكرم بطريقة خلابة ، بينما قدم د . أصغر محمود الندوي كلمة الشكر والامتنان إلى الأساتذة والطلبة وجميع الحضور بأسلوب بليغ . هكذا اختتمت الندوة وسط أجواء أكاديمية زاخرة بالحوار والتفاعل ، حيث تركت بصمة واضحة في مجال الدراسات العربية . وليُعلم أن جميع أعضاء هيئة التدريس بقسم اللغة العربية بمن فيهم د . آصف إقبال ، د . محمد أبو تراب ود . عبد الرحمن ، وسيدة بريتي بهارتي ومن الباحثين محمد أسامة ، حماد أحسن ، وأمان الله ، وعبد الفاطر وامتياز أحمد وغيرهم عملوا بجد وتفانٍ في إنجاح هذه الندوة الوطنية .

(١) البروفيسور خورشيد أحمد إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

فقدت الأوساط العلمية البروفيسور خورشيد أحمد في ١٢/ شوال ١٤٤٦هـ ، المصادف ١٣/ أبريل ٢٠٢٥م ، في المملكة المتحدة ، عن عمر يناهز ٩٣ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان البروفيسور خورشيد أحمد من مواليد ٢٣/ مارس ١٩٣٢م ، بدهلي ، وتلقى الابتدائية في دهلي ، ودرس البكالوريس في الاقتصاد في جامعة لاهور ، ١٩٥٢م ، ونال شهادة الماجستير من جامعة كراتشي ، وشهادة الدكتوراه من جامعة ليستر من بريطانيا عام ١٩٦٥م ، وكان اختصاصه في الاقتصاد الإسلامي ، وكان معجباً بالشيخ أبي الأعلى المودودي ، فانتخب عضواً في الجماعة الإسلامية منذ ريعان شبابه ، وظل يخدمها إلى آخر حياته ، كما نال جائزة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ١٩٩٠م ، ونال وسام الامتياز عام ٢٠١١م ، وجائزة البنك الإسلامي عام ١٩٨٩م .

كان البروفيسور خبيراً اقتصادياً ، وكاتباً قديراً ، وصحافياً محنكاً ، هاجر إلى بريطانيا عام ١٩٧٠م وأقام فيها ، وكان من مؤسسي المؤسسة الإسلامية (Islamic Foundation) في بريطانيا ، وقد رأس مجلة ترجمان القرآن إلى مدة لا بأس بها ، وكانت افتتاحياته تكون فكرية وعلمية ، و تنال قبولاً وتقديراً في الأوساط العلمية والدينية .

شغل البروفيسور خورشيد أحمد مناصب جليلة في حياته ، فكان مؤسساً ورئيساً للمؤسسات العلمية ، وعضواً في المجامع والأكاديميات ، وقد ألف ٧٠ مؤلفاً باللغتين : الإنجليزية والأردية ، وقد نعاه الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين قائلاً : إنه أسهم طوال مسيرته في بناء الجسور بين الفكر الإسلامي ، ومتطلبات العصر .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وأغدق عليه شآبيب مغفرته ، وغفر عن زلاته ، وألهم أهله وأسرته الصبر الجميل .

(٢) الطبيب نعيم الله إلى رحمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بالطبيب نعيم الله من بلدة إنهونة بمديرية أميتهي بولاية أترابراديش (الهند) ، عن عمر يناهز ٨٠/ عاماً ، في ١٩/ شوال ١٤٤٦هـ ، المصادف ١٨/ أبريل ٢٠٢٥م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الطبيب نعيم الله نجل الطبيب والشيخ الرباني إفهام الله رحمه الله تعالى ، ونال الشيخ إفهام الله شهرة فائقة في التزكية والإحسان بجانب مهارته في الطب ، وكان الناس يراجعونه ويستشيرون منه ، ويستفيدون من مجالسه وكلماته الربانية ، وقد انتخب عضواً بارزاً في الهيئة التنفيذية لندوة العلماء ، فظل يحضر دوراتها السنوية بكل نشاط ، وقد مشي على مشواره نجلاه العزيزان : الطبيب كليم الله والطبيب نعيم الله ، فالشيخ الرباني كليم الله يقيم في علي جراه ، ويشتغل بالطب وتربية الناس ، كما يشرف على مدرسة أشرف المدارس بمدينة هردوئي ، بارك الله في حياته .

أما الشيخ نعيم الله فكان يشتغل بالطب في منزل آبائه ببلدة إنهونه ، وكان الناس يأتون إليه ويأخذون منه الدواء ويلتمسون كذلك منه الدعاء ، فكان يؤدي واجباته بكل أمانة ، وأحياناً كان يزور ندوة العلماء ، ويلتقي مشائخها وعلماءها ، ويستفيد منهم ، فكان صالحاً ، تقياً ، نقياً ، براً لوالديه ، ولم يكن جباراً شقياً ، وقد لفظ نفسه الأخير يوم الجمعة بعد الساعة الثانية عشرة ظهراً في التاريخ المذكور أعلاه .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وجعل له المثوبة والأجر في الدارين .

(٣) الأستاذ ساجد حسين خان في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ ساجد حسين خان في ١٦/ شوال ١٤٤٦هـ ، المصادف ١٥/ أبريل ٢٠٢٥م ، عن عمر يناهز ٦١/ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ ساجد حسين خان من أكبر فور ، بمديرية رهتاس ، بولاية بهار ، وكان والده الأستاذ مظفر حسين خان رحمه الله ، وُلد الأستاذ ساجد حسين خان في ٣/ أكتوبر ١٩٦٤م ، ودرس الثانوية في منطقته ، ثم واصل دراسته في لكناؤ ، حيث كان أخوه الأكبر الأستاذ شاهد حسين خان مقيماً في ندوة العلماء ، وقدَّر الله تعالى له أن يلتحق بندوة العلماء كموظف ، فكان التحاقه بها في سنة ١٤٠٠هـ ، المصادف ١٩٨٠م ، وعمل فيها كمسئول عن مؤسسة الصحافة والنشر في ندوة العلماء ، ومساعد مسجل لدار العلوم لندوة العلماء ، ثم انتقل إلى أحد المكاتب والإدارات التعليمية لكلية الشريعة وأصول الدين بدار العلوم ، وبقي فيه إلى آخر حياته ، يواصل عمله بأمانة وشعور بالمسئولية ، وقد أجريت له عملية جراحية في قلبه ، لكنه شفي بفضل من الله ، وعاش حياة سعيدة بين إخوانه وأبنائه وأهله ، وقبل أيام من وفاته أدخل في مستشفى ميكس بلكناؤ ، وازداد المرض بسرعة ، حتى أدخل في وحدة

الرعاية المركزة ، ومن هنا إلى جهاز التنفس الصناعي ، وأخيراً لبى نداء ربه في الساعة العاشرة يوم الثلاثاء ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

ترك وراءه أسرة حافلة بالإخوة والبنين والبنات والأحفاد والأسباط ، فأخوه الأكبر الأستاذ شاهد حسين خان هو مساعد الأمين العام لندوة العلماء ، يعمل في ندوة العلماء منذ خمسين عاماً ، وظل مرافق الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي في بعض رحلاته ، كما كان منسِّق رحلات الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، وساعده الأيمن ، وأخوه الأصغر الأستاذ شهزاد عالم خان من الرجال الاجتماعيين المخلصين ، يسكن في مكارم ناغر ، بلكناؤ ، وأما أبناؤه فهم الأخ الأستاذ محمد طلحة الندوي والأخ الأستاذ محمد سعيد الندوي المدني ، والحافظ محمد سعد ، والحافظ محمد حمزة ، كما له أربع بنات ، وهن متزوجات ، وندعو الله لزوجته بالعمر الطويل ، بارك الله في حياتها .

صلى عليه رئيس ندوة العلماء الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي في رحاب ندوة العلماء في جمع غفير من العامة والخاصة ، وتم دفنه في مقبرة دالي غنج ، لكناؤ – الهند .

رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وأولاده الصبر الجميل .

(٤) والدة زوجة الأستاذ الدكتور سعيد الرحمن الفيضي الندوي في ذمة الله تعالى

توفيت السيدة مصباح فروين بنت الحاج محمد عبد الغني من مدينة كلكته بولاية بنغال الغربية (الهند) في ١٦/ شوال ١٤٤٦هـ ، المصادف ١٥/ أبريل ٢٠٢٥م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الراحله الكريمة زوجة الشيخ القاضي شفيق أحمد ، وكان من النساء الفاضلات القانتات ، وكانت تقضي حياتها في ضوء الكتاب والسنة ، تشكر على نعماء الله ، وتصبر على مكاره الحياة ، وقد أصيبت بمرض شديد ، فأدخلت في المستشفى ، فظلت أياماً في الرعاية المركزة ، وكانت بنتها التي هي زوجة الأستاذ سعيد الرحمن الفيضي الندوي مقيمة في كنادا ، فرجعت من كنادا إلى الهند ، وظلت تخدم والدتها إلى آخر أنفاس حياتها ، وما زال يفكر الأستاذ الدكتور سعيد الرحمن الفيضي الندوي في هذا الشأن ، ويدعو الله لصحتها وعافيتها ، ولكنها لبت نداء ربها ، وقد أديت صلاة الجنازة عليها بعد صلاة الظهر خارج مسجد كولوتولا بكلكته ، وتم دفنها في مقبرة ١٦/ آنا في المدينة نفسها .

فنحن إذ نعزي الأستاذ سعيد الرحمن الفيضي الندوي وزوجته على وفاة الراحلة الكريمة ندعو الله أن يتغمدها بواسع رحمته ، ويمطر عليها شآبيب غفرانه ، ويجعل الفردوس مثواها .

إصدارات حديثة :

(١) **شبلی شناسی کی نئی جہات** (مع عناية خاصة بجريدة مؤسسة علي جراه) للبروفيسور اشتياق أحمد الظلي ، الناشر : دار المصنفين ، شبلي أكيدمي ، أعظم جراه ، (الهند) عدد الصفحات : ١٩٦

(٢) **سفر شوق** (رحلة حج لعام ١٩٦٠م) للسيدة رافت النساء بنت المفسر الكبير الشيخ عبد الماجد الدريابادي ، ترتيب وتدوين : الأستاذ نعيم الرحمن الصديقي الندوي ، الناشر : **صدق فاؤنڈیشن** ، لكناؤ عام ١٤٤٦هـ ، عدد الصفحات : ١٢٧

(٣) **المفتي عبد اللطيف الرحماني أحوال وآثار** ، تأليف : الأستاذ فيصل أحمد الندوي، الناشر مؤسسة إحياء العلم والدعوة ، لكناؤ ، ومكتبة الشباب العلمية ، شارع ندوة العلماء ، لكناؤ ، عدد الصفحات : ٦٣٢

(٤) **أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد** ، تأليف أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، المدون الشيخ أبو سلمة شفيع أحمد البهاري النالندوي ، الدارس المصحح : الدكتور محمد كفيل أحمد الندوي ، الناشر : إدارة الترجمة والتأليف ، كولكاتا، ١٤ ، ١٤٤٦هـ ، عدد الصفحات : ١٢٧

(٥) **مظلوم اُردو** للعلامة المحقق أبي سلمة شفيع أحمد البهاري ، المرتب : الأستاذ طلحة بن أبي سلمة شفيع ، إدارة الترجمة والتأليف ، كولكاته (الهند) عدد الصفحات : ١٢٨

(٦) **دنیائے إسلام** (العالم الإسلامي) للأستاذ السيد محمود الحسن الندوي ، باعتناء البروفيسور السيد وسيم أختر ، جامعة إنتغرل لكناؤ ، عدد الصفحات : ٣٣٦

(٧) **تزكية النفس وإصلاح الباطن** للأستاذ المفتي محمد زيد المظاهري الندوي ، الناشر: **إدارہ إفادات أشرفیہ** ، دوبغا ، شارع هردوئي ، لكناؤ ، عدد الصفحات : ٢٤٠

(٨) **الأسباب الحقيقية لانحطاط المسلمين ، وحلولها** للأستاذ المفتي محمد زيد المظاهري الندوي ، **إدارہ إفادات أشرفیہ** ، دوبغا ، لكناؤ ، عدد الصفحات : ١٧٢

(٩) **خطب المعهد (مجموعة سبعين خطبة)** ، إعداد وتقديم : الأستاذ محمد حماد الكريمي الندوي ، الناشر : المعهد الإسلامي العربي لعموم الهند ونيبال ، عدد الصفحات : ٢٠٦

(١٠) **أرض فلسطين : منظر وپس منظر** للأخ محمد عامل ذاكر شيخ الندوي ، الناشر : حركة فلاح الملة لعموم الهند ، ممبائي (الهند) ، عدد الصفحات : ٩٦

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2024 To 2026
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 71 Issue. No. 06, May, June 2025

إصدارات حديثة

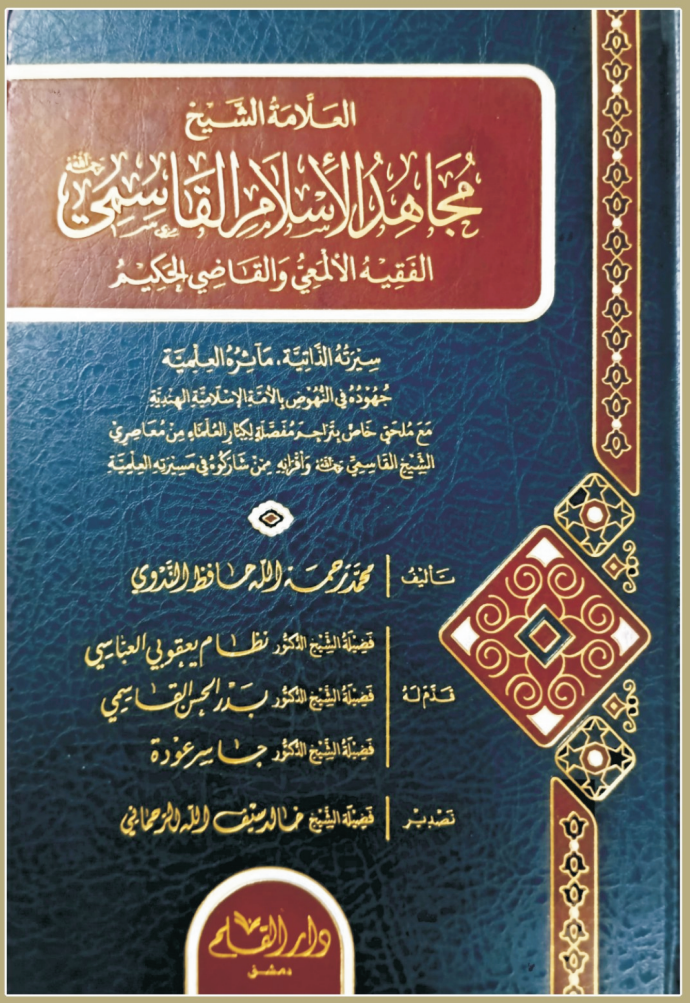

Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by MOHAMMAD TAHA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI